المنفيـــــــون

(روايـــــة)

تأليــف

عبــد الحكيــم أوكفيــل

السَّعيد
للنـــشر والتـــوزيـــع

اسم الكتاب/ المنفيون - رواية
الكاتب / عبد الحكيم أوكفيل
الطبعة الأولى 2019
تصميم الغلاف : محمد محسن
المراجعة اللغوية : عبد الحكيم أوكفيل
رقم الإيداع : 2019/16487
الترقيم الدولي: 978 - 977 - 6727 - 46 - 5
التصنيف: رواية
الناشر : السعيد للنشر والتوزيع
المدير : لميـــاء السعيـــــد

برج الهادي – الدور الأول - 36 ش عبد الحميد الديب – شبرا مصر

01550096215 - 0222017260

elsaidpublisher@gmail.com

السعيد
للنشر والتوزيع

إهـــــــداء

لكلّ مظلوم مقهور أُبعد قسرا عن أرضه

عن أهله وأحبّته

«المنفيون»

قصّة معذّبين

عائدون من العدم

«يستطيع الكذب أن يدور حول الأرض
في انتظار أن تلبس الحقيقة حذاءها»

«مارك توين»

إفتتاحيّـــة

أهنـاك مـا هوأكثـر إيلامـا مـن وجـع المـوت؟... بعـد ضجيـج الحيـاة فـي أجسـاد مرحـة سـعيدة... سـكون وصمـت... صعب أن تطيـق النفـس فـراق الأحبـة وهـي المشـتاقة لعنـاق أخيـر... لقبلـة أخيـرة علـى الوجـه أوالجبيـن... لكلمـة أخيـرة تُبقـي للغائـب حنين...

هناك نعم...

هناك ما هوأكثر إيلاما... النفي... الإبعاد...

وأنـت منفـيّ... بعيـدا هنـاك... سُـلبت كلّ شـيء... أهلـك أصدقـاءك وأحبابك...عزّتـك وكرامتـك... هويتـك وانتمـاءك... هكـذا تُركـت لنـوازل الحيـاة عاريـا... منبـوذا... مكروهـا... مطـرودا... يلتهمـك الغيـظ ويبتلعـك الغضـب... ينخـرك ألـف سـؤال وسـؤال... لمـاذا أبعـدت عـن وطنـي؟... عـن أهلـي وأحبابي؟... ما ذنبي وأنا ابن هذا التراب؟...

هكـذا تمـوت حيّـا فـوق البسـيطة قبـل أن تحتضنـك... هكـذا يقتلـك القهـر قطعـة قطعـة... هكـذا وأنـت تـرى وتعيـش... هكـذا تتجرّع مرارة الظّلم قطرة قطرة...

ماذا تفعل؟...

تستسلم؟... تنسى؟...

تريد العودة؟...

«المنفيّـون»... أنـاس خُطفـوا مـن أرضهـم لسـبب جهلـوه... لكنهـم أبـوْا الاسـتكانة... والرضـا بالمهانـة... فعـادوا مـن بعيـد... تفتّحـت أعينهـم عمّـا يجـب أن يكـون... أن تعيـش بكلّـك ليـس ببعضك... أن لا تنسى أصلك... كيانك وانتماءك...

أن تكون حيث يجب أن تكون...

أوكفيل عبد الحكيم

الفصل الأول

المكيدة؟

في زمن من الأزمنة عمّ الأمن والسّلام العالم، ازدانت البسيطة بخيرات ربّها وعاش البشر كإخوة على اختلاف مللهم ونحلهم، إلى أن استيقظت روح المكر والخديعة مرّة أخرى في بعض الأنفس الوديعة، وجرّتها إلى مخدع الطّمع، لمضاجعةٍ بعد الشّبع، فنفس الإنسان توّاقة للمزيد لمن يريد، وباب الإمكان متاح لمن فتحه بالرّغبة المجنونة...

يُروى أنّه في «مملكة شامبالا»... «مملكة السلام والسّكينة»، بين أرضين، وبين شعبين: البيض والصّفر، في قلب الجبال الثلجية الشاهقة، كان هناك حاكم، رجل عدل يُشهد له بطيبة النفس ورجاحة العقل، لكن ما لبث أن طعنه السنّ طعنات أردته في آخر عمره غير قادر على صون الأمانة، فجمع أبناءه

الشّباب وهوعلى فراش الموت يوصيهم قبل الفراق، هم ذكران وأنثى، الأكبر «الأمير صخر»، الأوسط «الأمير آدم «الصغرى «الأميرة «مريم».

صخر، البكر، قوي البنية حازم الرّأي، آدم حار الدّم رقيق القلب، أما مريم فكانت نبهة... قليلة الكلام واسعة العلم... كلّ أخذ حظّه من بعض الخصال، وكلّ تميّز بها عن غيره...

محاط بأبنائه في آخر لحظاته يقول الحاكم:

«يا أبنائي، قد حانت الساعة، أحسّ بروحي تنسلّ من بين أضلعي وأطرافي، ما بقي لي في دنياكم سوى أن أوصيكم، فأنتم الباقون بعد رحيل أمّكم ورحيلي، ولا أساس لهذا الحكم دون من يقيمه، حاكم عادل، حازم ذكيّ يشدّ أزر شعبه ويعلي شأن بلده...».

دموع الحزن ومرارة الفراق تعصر أعين الأبناء فتتقاطر تباعا، يدركون أن النهاية وشيكة...

«أوصيكم بعدم الفرقة، والاجتماع على الرأي القويم الذي فيه مصلحة الأمة، فالتتناصحوا وليأخذ كل منكم من الآخر ما نقصه من علم، أنتم كلٌّ واحد، والكمال لله وحده...».

لا يُسمع الآن سوى شهيق البكاء، وصوت الحاكم الذي يكاد لا يُسمع، ينطفئ رويدا رويدا مع كلّ كلمة تخرج من فيه، صار النّطق ببعضٍ منها عسير مؤلم...

«لقد عُلّمتم منطق الحكم والسياسة، وكان لكم مني تجربة عشتموها، لا أخاف عليكم بعد رحيلي، لكن مع ذلك سأختار صخرا ليكون خليفتي فيكم، يقودكم ويقود هذه الأمة إلى مستقبل زاهر يفتخر به كلّ من انتمى لمملكة شامبالا».

كان من المتوقع أن يكون صخر الخليفة المنتظر، فهوولده البكر والأحق بالملك بعده... هوالأجدر بذلك...

يبكي صخر ويقول:

«يا أبتاه... لقد كلّفتني وشرفتني... لن أضيّع الأمانة، ستنعم «شامبالا» بالأمن والسّلام ما دمتُ على دربك سائر...».

يهدأ بال الحاكم فيما ينظر آدم إلى أخيه وفي نفسه يقول:

«ذلك أكثر من تكليف يا صخر... ما أصعب ما هوآت...».

فيما بقيت مريم صامتة تنظر تارة في صخر وأخرى في آدم...

في نفس اللّحظة يفارق الأب الحياة بصمت وعلى وجهه ارتسمت ابتسامة أخيرة... ذهب إلى العالم الآخر مطمئنا مرتاحا...

وضع صخر يده على وجه أبيه وأغلق عينيه الذّابلتين المتعبتين من رهق الحياة، مسح دموعه ثمّ نظر في أخويه، كانت نظرة غير مفهومة، ليس لها تفسير، استغرب منها آدم أمّا مريم فقد قرأت معانيها من صفحات وجهه وأكنّت ذلك سرًّا

فـي نفسـها، يخـرج صخـر مـن الغرفـة تـاركا أخويـه مـع أبيهمـا الراحل توّا، تمسك هذه الأخيرة يد أخيها وتقول:

«لقد بدا من صخر ما لا يعجبني، ما رأيك أنت يا آدم؟ «

«مـاذا؟ لم ألحـظ شـيئا... سـوى حزن وأسـى كمـا الـذي اعترانا وسكن فينا...».

«طـول عمـرك تسـري تحتـك الميـاه وتجـري... وأنـت غيـر آبه...».

«ماذا تقصدين؟»

«أقصد صخرا... «

«هوالبكر والأكثر تمرّسا بيننا في السياسة...».

«ليس ذلك...».

«إذن ماذا؟...».

«لا أعرف... لست مطمئنّة...».

لـم يفهـم آدم سـبب قلـق أختـه... وبقـي تسـاؤلا فـي نفسـه... كان فقـدان الأب أكبـر مـن التّفكيـر فـي أيّ شـيء آخـر... خـرج الأخـوان مـن الغرفـة إلـى القاعـة... فيمـا دخـل الأطبـاء للتأكّـد من وفـاة الحاكـم... وقـد كان... يبقـى الأخـوان كل واحـد فـي مخدعه لمـدة... مهمومـا كئيبـا... يعيـد شـريط الذكريـات إلـى الـوراء...

مستذكريْن الأيام الخوالي... أيام الفرحة والسعادة مع الأب الحبيب الغالي... في حين حضّر الأخ الأكبر مراسيم جنازة الحاكم... وفي نفس اليوم أقيمت... جومهيب... اجتمع الحرس والناس الكل مع بعض... «أمّة» خلف حاكمها الراحل... يوارى التراب وسط جمع غفير... أوصى أن يكون مثواه الأخير مع العامة من النّاس... فكان له ما أراد... كان ابن الشعب وعاد إلى تراب يحتضنه ومعه الآلاف بل مئات الآلاف من أبناء مملكته... أراد أن يكون إنسانا... أن يعيش ويموت بسيطا... فكان عظيما...

يبكي الكل فراق الحاكم... لكنهم مطمئنون... فمن يحمل أمانة الأمة الآن هوابنه صخر... وبرضا العامة والخاصة ألقى الحاكم الجديد كلمته... توجه بها لرعيته واعدا بإكمال ما بدأ به من سبقه... وتحقيق ما حلم به الشعب... فاختلطت الآلام بالآمال... وطفا الفرح على الحزن وطغى للحظات... صار الشاب حبيب القلوب الذي يرى فيه الكل قائد الغد لما بعد غد... تهاطلت أمطار يوم حزين على المقبرة... ولفّ السواد ولون الرماد الأرض... حتى العباد... أنهى الأمير خطبته وعاد كل واحد إلى بيته في انتظار الغد... اليوم الموعود... «يوم الخلافة»... يوم ترسيم الحاكم الجديد... عاد الكل وقلوبهم مطمئنة... عاد الكل وهم غافلون...

فـي تلـك اللّيلـة زارت مريـم جنـاح أخيهـا آدم وطلبتـه فـي أمـر أرّقها... لم تصبر لليوم الموالي...

«أنا خائفة يا آدم...».

«كلامـك ألغـاز لـم أفهمهـا... منـذ الصبـاح وأنـت علـى هـذه الحـال... دعيـكِ مـن التّلميـح وتخطّيْـه للتّصريـح... مـاذا بـه صخر؟ ما الذي تشكّين فيه؟ أخبريني...».

تتردّد مريم قليلا... ويظهر على وجهها الاضطراب والقلق:

«لصخـر مكـر ودهـاء... يسـتعمله لصالحـه الخـاصّ وأنـت تعرف... كان كذلك ولا يزال... لو... تخيّل فقط لو...».

فـي نفـس اللّحظـة يُسـمع طـرق للبـاب... يسـتأذن وإذا بـه قائـد الحرس الملكيّ... وفي يده علبة ذهبيّة...

«سيّدي سيّدتي... هذه العلبة لكما...».

يستغرب آدم فيسأله:

«ممن؟ من أخي؟ ماذا فيها؟».

يبتسم قائد الحرس ابتسامة غريبة... ثمّ يقول:

«يقـول سـيّدي صخـر أنّ هـذا يُخمـد الحـزن ويفتـح أبـواب الفرح... و...».

تقاطعه مريم:

«هي من صخر؟».

يجيب قائد الحرس:

«نعم سيّدتي... ويطلب منكما فتحها...».

تقطّب حاجبيها شكًّا:

«لماذا لم يأت هوويسلّمها؟... لماذا طلب منك أنت؟...».

أجابها أخوها متذمّرا من أسئلتها الكثيرة:

«دعك من السؤال الآن ولنر ماذا تخفيه العلبة... ماذا يمكن أن يكون فيها بحسب رأيك؟ ثعبان؟ عقرب؟... كثيرة الشك أنت...».

«لم أفهم لماذا أرسل لنا هاته العلبة وفي هذا الوقت... أظنّ أنّ...».

«سنفتحها الآن ونعرف...».

تسكت مريم... تطلب من القائد الانصراف فيفعل... وبنفس الابتسامة يغلق الباب خلفه... يمدّ آدم يده بسرعة إلى العلبة ويفتحها... وإذا بداخلها مفتاح عليه رمز «شامبالا»... مفتاح غريب لم يريا مثله... يخرجه آدم ويقلّبه بين أصابعه ومريم تنظر...

«إنّه مفتاح... ذهبيّ مرصّع...».

«ما معنى ذلك؟».

«ليست لي أدنى فكرة... ما رأيُكِ أن نذهب إليه الآن ونسأله؟».

«انتظر...».

تأخذ مريم المفتاح من يده... تتمعّن فيه... تتفحّصه وتتحسّسه... تفتح عينيها وتبقى على تلك الحال للحظة... ينظر فيها آدم:

«ماذا؟... ماذا بكِ؟...».

«إنّه «القلب» ».

يصرخ آدم:

«ماذا؟؟؟... ماذا تقولين؟؟؟».

«دون شك... مفتاح عليه الرمز التاريخيّ لمملكتنا... مرصّع بالجوهر... لن يكون سوى «القلب «...».

«القلب» هومفتاح خزنة المُلك... خزنة المُلك توارثها الآباء عن الأجداد...يقال أنّها تحوي كنزا ليس له مثيل... ولا يقدّر بتقدير... محميّ في غرفة من القصر سفليّة... ممنوعة عن العامة والخاصّة... لا يلجها سوى رجال الدّين وحاملوا السرّ المكنون... وهم اثنا عشر رجلا فقط... فكيف إن كان هوحقّا؟... لماذا سلّمهما المفتاح؟...

«آدم... لست مطمئنّة...».

«ماذا ترين؟».

«لنبحث عن صخر ولنر ما الأمر...».

يرى آدم في المفتاح... ثمّ في مريم...

«لا تقل لي أنّك...».

«لـن تتكـرّر هـذه الفرصـة... ولربّمـا لـن نسـتطيع رؤيـة الكنـز أبـدا... يتوارثـه أهـل الديـن والخاصـة مـن حاملـي السـرّ... حتـى الحاكـم لا يحـق لـه رؤيتـه... كيـف تحصّـل صخـر علـى المفتـاح وكيـف وصـل إلـى هنـا؟... صدّقينـي يـا أختـاه لا أهتـم لـكلّ ذلك... أودّ فقط...».

تقف مريم غاضبة:

«أجننت؟...».

«نعم... أود رؤيته... بعد ذلك أرجع المفتاح...».

«لكن...».

«لا تمنعيني... أذا ذاهب الآن... إن أردت البقاء فابقيْ ...».

«فكّـر يـا آدم... فلربّمـا فـي الأمـر خطـب... بـل فيـه خطـب... ألم...».

«دعيني الآن...».

يتـرك آدم أختـه فـي غرفتـه ويخـرج فـي جنـح ليـل عاصـف ماطـر... الظّـلام يخيّـم علـى كلّ شـيء... بخطـوات حـذرة يمشـي فـي أروقـة القصـر ويتخطّـى الأجنحـة والغـرف... يتركـه الحـرس يمـر دون اعتـراض... وكلّمـا اقتـرب مـن الهـدف قـلّ عددهـم... كيـف هـذا ولمـاذا؟... لا يهـمّ... مـا دام الآن أمـام بـاب الغرفـة السـريّة... وبيـده مفتاحهـا... أخيـرا سيكشـف السـرّ... يقتـرب وإذا بخطى وراءه... فيلتفت مفزوعا... وإذا بها أخته...

«اللعنة... أخفتني... ماذا تفعلين هنا؟».

«أأتـرك مغفّـلا مثلـك يقـدم علـى أمـر كهـذا؟... تبعتـك لأنصحـك قبل النّـدم... لأقـف دونمـا تفعـل... ألا تـدرك أنّ دخول هذه الغرفة جرم عظيم؟».

«إن لـم أدخلهـا الآن فلـن أفعـل بعـد اليـوم... أرى الكنـز... وبعد ذلك أسأل صخرا...».

«لمـاذا العجلـة؟... مـاذا لوسـألته أولا ثـمّ أتيـت؟... أليـس هومـن أعطانـا المفتـاح؟... ليـس ممانعـا لمـا تفعـل... لكـن معرفة ما يدور في عقله من الحكمة الواجبة... وهذا قبل أن ...».

يغضب آدم ويصرخ:

«تبًّـا كـم تتكلميـن... إن أردت الدّخـول فمرحبـا لكـن أغلقـي فمك... وإلاّ عودي أدراجك وأنت بكماء...».

لـم تفلـح مريـم فـي منعـه وإقناعـه بخـلاف إرادتـه... فالتسـرّع وعـدم الأنـاة مـن طبـاع أخيهـا... مـا كان لهـا سـوى أن تتبعـه فـي مسعاه... يفتح الباب ويدخل... يحاول إنارة الغرفة دون جدوى...

في نفس اللحظة تُشعل المصابيح قبالتهما...

يتجمّـد آدم صنمـا فـي مكانـه وكذلـك أختـه... كان أخـاه صخـر... الحاكـم الجديـد برفقـة «جماعـة الإثنـا عشـر» رجـال الديـن وحاملوالسـر المكنـون... مـاذا يفعلـون كلّهـم هنا؟ مـا الذي يحصل؟...

يبتسـم صخـر ابتسـامة غيـر مألوفـة... غيـر معروفـة... ينظـر في الحاضرين ويقول:

«هـا قـد رأيتـم بأعينكـم... همـا أمامكـم الآن... سـلوهم مـاذا جـاء بهـم إلـى غرفـة السـر الممنوعـة... بـل هـي مكيـدة أحسـنا خياطتهـا... وانتظـرا غيـاب الـكل وسـقوط الليـل علـى النهـار حتى يسـهل لهمـا مـا حُـرّم علـى غيرهمـا... فمـا قولكـم فيهمـا ومـا حكمكم عليهما؟...».

لم يصدّقا ما قاله للتوّ... يصرخ آدم:

«مـا الـذي تقولـه يـا صخـر؟ أنـت الـذي أوصيـت قائـد الحرس بالمفتـاح فأوصلـه إلـى مـن أمرتـه ... لا أدري كيـف ولمـاذا... أسألك الآن... لماذا فعلت ذلك؟».

صخر ساخرا:

«مـاذا؟ - يضحـك- بـل أدركـت خيانتكمـا للمملكة قبل مـدّة... وحضّـرت كمينـا ووقعتمـا فيـه... ظهـر الحـق وزهـق الباطـل... سـرقتما المفتـاح مـن خزنـة المملكـة واسـتغللتما حـزن الجميـع ونقـص انتباههـم لكشـف السـرّ... وها قـد وصلتمـا للبُغيـة... لكنّي نقلـت الكنـز إلـى مـكان آخـر... انتظرناكـم هنـا حتـى أتيتمونـا... فماذا بعد ما رأينا؟...».

إنهـا المكيـدة... خدعـة وقـع فيهـا الأخـوان... تنتفـض مريـم وتصرخ بدورها:

«قائـد الحـرس هومـن أتـى بالمفتـاح... صحيـح أنّ الفضـول دفعنـا لمعرفة مـا هوموجـود فـي الغرفـة... لكـنّ المفتـاح أتانـا ولم نسرقه...».

«تقوليـن قائـد الحـرس؟...». بنفـس النّبـرة السّـاخرة يقولهـا صخر...

تسكت مريم ويجيبه آدم:

«نعـم... هومن أحضـر المفتـاح وقال هـذا أمـر منـك... لا ندري لماذا...».

يشـير صخـر بيـده إلـى الجهـة الأخـرى مـن الغرفـة وإذا بقائـد الحـرس يحملـه حارسـان، كلّ مـن سـاعِد، مخضّبـا بالدّمـاء ميّتـا

دون حـراك... ينتابهمـا الخـوف... يعـودان إلـى الـوراء من هـول ما رأياه... ينظران في بعضهما...

«كان شـريككما... التقطـت كاميـرات المراقبـة كلّ مـا حـدث اللّيلـة... ورأينـاه يدخـل مخـدع آدم بعدمـا دخلـت أنـتِ، لابـدّ وأنّكـم الثلاثـة اتّفقتـم علـى مـا أقدمتـم عليـه فـي تلـك الأثنـاء... خرج هووبعده آدم واتّبعتِه إلى هنا...».

إنّهـا المكيـدة... إنّهـا الخديعـة ... يطيـل آدم صمتـه وبـركان الغضـب يغلـي فـي جوفـه، أمّـا مريـم فصامتـة بدورهـا... صامتـة صمـت الموتـى... صمـت مـن يعيـد الأحـداث إلـى الـوراء بعجـل... بخـوف ووجـل... كمـن يبحـث عـن الحقيقـة فـي ظلمـة كوْن أسـود... يـرى صخـر فيهمـا... يبتسـم ابتسـامة ثعلـب ماكر... يقابل الحاضرين ويقول رافعا صوته:

«أنتم حاملوالسـرّ الأبـديّ... شـهدتم على مـا سـمعتم ورأيتم... وشـهادتكم حـق لا يـردّ... هـذان خانـا المملكـة وأرادا كشـف سـرّ «شـامبالا»... أرادا مـا لا يمكـن أن يكـون... همـا أخـواي... مـن لحمـي ودمـي... ومـع ذلـك مـا قامـا بـه لا يغتفـر... وأنتـم أدرى بجزاء الخائن... فماذا ترون فيهما وبيدكم العدل يُقاس...».

هـزّت كلماتـه أعيـان الشـورى مـن حاملـي السـرّ المكنـون... وصـار لا بـدّ مـن أخـذ موقـف صـارم لا رجعـة فيـه... بالرغـم مـن تعـدي الأمـر إلـى خيـرة القـوم... إلاّ أنّ كنـوز المملكـة أغلـى...

والهَـون فـي مثـل هـذا الموقـف يهيـن صاحبـه... فمـا كان لهـم إلا أن يشـيروا علـى الحـرس أن يقبضـوا عليهمـا... فـي تلـك اللّحظـة اسـتيقظ الوحـش الـذي فـي مريـم وصـارت غيـر التـي كانـت... صرخـت بأعلـى صوتهـا والغضـب يقطّـع أوصالهـا ويزعـزع كيـان كلّ من سمعها... أرسلتها صريحة لأخيها:

«الخيانـة أنـت صانعهـا... لـم نكـن لنخـون المملكـة ولا عهـد الآبـاء والأجـداد... وإن كان الظاهـر ذلـك فقـد دفعنـا الفضـول بعد أن عبّـدت لنـا الطّريـق... كانـت نيـة آدم بريئـة... فضـول أطفـال هـوى بـه وبـي فـي شـراك نسـجتها أنـت... ولففـت الأمـر وزيّنتـه علـى أنّـه مكـر منـا... وصدّقـك هـؤلاء... بئـس مـا فعلـت وبئـس من صدّقوا...».

لـم تطـق أن تُظلـم... ولا أن يُظلـم أخوهـا... ذرفـت دموعـا وهـي تبكـي... جسـدها الضّعيـف يرتعـش غضبـا وقهـرا... أمّـا آدم فبقـي فـي مكانـه لا يتحـرّك... محدّقـا فـي صخـر... موجّهـا إليـه نظرة كره... نظرة قابض الرّوح ... نظرة ملك الموت:

«كان ذلـك مقصـدك... إذا كنـت تريـد الملـك فقـد عـاد إليك... لمـاذا كل هـذا؟... لمـاذا مكـرت بنـا؟... لأنّ هنـاك سـرًّا آخـر تـودّ إخفـاءه... تريـد أن يبقـى لـك وحـدك بعـد وفـاة أبـي... تريـد اسـتخلاصه لنفسـك... ونحن حجـرة العثـرة أمامـك... دوننا تسـير الأمـور كمـا خططـت... وبنـا لـن يكـون الأمـر كمـا أردت... أليس كذلك؟...».

يفتح صخر عينيه وتنمحي الابتسامة من وجهه... صار أكثر جديّةً بعدما لامس آدم الحقيقة بكلامه... لم يكن ينتظر من أخيه ما قاله... كان دائما الولد الطّائش الفضوليّ الذي يتدخّل فيما لا يعنيه... الذي لا يفكّر سوى في نفسه وإرضاء رغباته... من أين هاته الاستفاقة وكيف؟... وكأنّ مريم آتته شيئا من قبسها... حتى أنّ مريم في غمار بكائها صمتت وأنصتت... فاندهشت لما قال...

يغضب صخر... وتظهر ثورته جليًّا... كلامه أثّر في السّامعين بعدما أثّر كلام مريم فيهم... فارتبكوا واحتاروا... ووجدوا أنّهم لوتأنّوا في الحكم لكان أفضل... لكنّ صخرا لم يترك لهم وقتا... وسبق عقولهم بالإقناع فقال:

«لا دليل لما تقولون... ودلائل خيانتكم ظاهرة جليّة... فإن كان لكم برهان هاتوه... وإلا فأنتم الكاذبون...».

كانت هذه الكلمات بمثابة الخنجر الذي يغرس في القلب... لم يجدا ما يدافعان به عن نفسيهما... الدليل... لا يملكانه... أمّا هوفبلى بالرّغم من حقيقة بُطلانه... النّاظر يحكم بما رأى... وإن لم يكن لك ما تدفع به عن نفسك فلا تجعل الأمر يسوء أكثر بالإنكار والتّكذيب...

يصمت كلاهما... تعود الابتسامة الماكرة إلى وجهه لترتسم عريضة... صمت لم يقطعه سوى صوت الأمطار وهي تتهاطل

في تلك اللّيلة الظّلماء... يأمر صخر الحرس بالقبض عليهما وزجّهما السّجن... غدا سيحاكمان... عدم الرّضى بادٍ على أوجه الرجال... لكن لا حول لهم ولا قوة... ليس لهم ما يدافعون به عنهما... وسيكون مصيرهما كما كان مصير كلّ خائن... الموت...

يُقتادان إلى زنزانتيهما... في مكان مجهول من القصر الملكيّ ذاك... تحت الأرض... مزيدا ومزيدا تحت الأرض... يقتادان والحرس عن يمين وشمال... من أمام وخلف... يتخطّون الظلمة إلى ظلمة أخرى...

يُزجّان في زنزانتين منفردتين... وعليهما حراس... كيف وصلا إلى هنا؟... ما الذي حدث بالضبط؟

«لماذا كلّ هذا يا مريم؟... لماذا؟».

«هوكما قلت... صخر يخفي أمرا... لا يريدنا أن نعرفه... الأمر هذا متعلّق بنا نحن... وما هاته المكيدة إلا ذريعة للتخلّص منا حتى لا نعترض طريقه...».

يصرخ عليهما أحد الحراس طالبا السكوت... ففعلا... كانت ليلة سوداء بمعنى الكلمة... غضب وحيرة... ذاك الشعور المؤلم... بأنك خُدعت... بأنك ضعيف لا تملك حيلة... بأنك ضحية...

تساؤلات كثيرة... حزن كبير... يا لقسوة الدنيا... يا لهذا الإحساس...

أرسلت الشمس أول أشعتها بخجل على «شامبالا»... لقد حانت الساعة...

إلى «ساحة العدالة» وسط المملكة... المآل الأخير... سيشهد سكانها أول إعدام منذ زمن... «مملكة السلام والسكينة» لن تكون كذلك بعد هذا... ولو أن «العدل» يجب أن يأخذ مسراه... ويجري في مجراه... إلا أن «قتل النفس» حُرّم... ونُسي مع تقادم الزمن واستتباب الأمن...

هل سيكون للأمن والسلام معنى آخر بعد إعدام ولديْ الملك السابق؟... قلق انتاب آلاف المتجمعين في الساحة... ماذا سيحدث الآن؟

يأتي العسكر... مريم وآدم مقيّدان... بالكاد يمشيان... يمران على جمع غفير من الناس... الصمت يرعب... لا تسمع سوى صوت الأغلال والأنفاس... وبعض الهمسات هنا وهناك... خطوات صغيرة... مع كل خطوة يطرق الذل باب الهوان... فتفتحه نظرات الحاضرين... تنظر مريم يمينا ويسارا وتغلبها دموع الحسرة... فيما يبقى آدم مطأطئا رأسه... يمشيان والعسكر... أين المفرّ؟...

اقترب « الخائنان « من وسط ساحة الإعدام... وكان الملك صخر برفقة حارسين واقفًا بعنفوان... من فوق يرى أخويه...

نظـرة احتقـار وتكبّـر تعلومحيّـاه... تـزداد الهمسـات... كوقـع الصخـر علـى الصخـر فـي آذان آدم ومريـم... ترانيـم وداع قـادم... تلك أجراس الموت الناطقة بصوت الباطل...

يجثوالأخـوان علـى ركبتيهمـا أمـام الملـك خاضعيْـن... مكبّلين والغيْظ يعتصرهما...

قـد جـاء الآن... «القابِـض»... الـذي سـيخلّص المملكـة مـن هاته الأرواح الشريرة...

يرفع صخر يده فيسود صمت رهيب...

«اليـوم يـوم انتصـار الحـق علـى الباطـل... أمامكـم اثنـان ممـن يُحسـبان علينـا نحـن الشـرفاء الأنقيـاء ... أرادا كشـف السـرّ واسـتخلاص كنـز «شـامبالا» لنفسـيهما... أرادا الملـك بالخـداع والمكـر... أعدمنـا قائـد الحـرس الـذي أعانهمـا علـى جرمهمـا المشـهود... وبقـي هـذان... أخـواي اللـذان وثقـت فيهمـا... خدعاني وخدعا أمة... واحسرتاه عليكما... واحسرتاه...».

يـذرف مـع تلـك الكلمـات دمـوع التماسـيح ويُظهـر مـن الحزن مـا تُصدّقـه الأعيـن طوعـا... تليـه تنهّـدات الأسـى ممـن سـمعوا فخُدعـوا... يشـتدّ غضـب آدم فيحـاول النهـوض للنيـل مـن هـذا الماكـر الـذي تلاعـب بهمـا وهمـا علـى شـفا المـوت... فتمنعـه مريـم بإشـارة منهـا... وكأنهـا تقـول « لا تفعـل... لا تتهـوّر... فـإن ذلك سيؤكّد ما قاله... يؤكّد فينا الجرم المزعوم...».

يفهم من نظراتها ما لم ينطق به لسانها فيستكين... كذلك لا مجال للعب دور البطولة وهما محاطان بجيش من الحرس... والكل هنا يعتبرهما مجرمين حقّ عليهما الحدّ...

يرى فيهما صخر مرّة أخرى ثمّ يقول:

«لكنّي لن أطبّق عليهما حدّ الخيانة العظمى... فعطفي على رعيّتي وحلمي عليهم أسبق...».

يندهش كلّ من سمع قوله... كيف هذا؟

ترى مريم في آدم... لابدّ وأنّ في الأمر خدعة أخرى...

«أوّلا عليكما بتقبيل قدمَي ملككما المبجّل... بعد ذلك تُنفيان من الأرض... لكنّكما تبقيان على قيد الحياة...».

لم يسبق وأن بلغ الغيظ بآدم هذا المبلغ... فقفز على أخيه يريد اقتلاع لحمه ونهش عظمه بأسنانه... كمجنون يصرخ غير آبه بأحد... فاجتمع عليه الحراس سريعا وأخذ جزاءه الوافر من الضرب... حتّى تلوّن كاملا بدمه... سقط على الأرض شبه مغشيّ... وعيناه المنفوختان تبحثان بيأس عن أخته التي صرخت منكرة ما فعلوا بأخيها... فكان ردّ الملك:

«لقد حكمت على نفسك بالموت...».

يبقى الجميع يترصّد... في تلك اللّحظة تصرخ مريم:

«سأقبّل رجلك... لكن اتركه...».

تبلغ الدهشة ذروتها وتعمّ الكلّ... يبتسم صخر...

«اقتربي...».

تقترب مريم من الدرج الذي يوصل إلى المنصة هناك... وتصعد... ببطء تحت حراسة شديدة... أمام الملك بحلته الملكية الفاخرة تجثوعلى ركبتيها... فيمدّ الملك رجله والنعل في قدمه... تقترب هي... وتضع شفتيها المرتعشتين على النعل وتقبّل قدمه...

يا له من هوان...

يضحك صخر ويركل وجه مريم فتسقط على المنصّة...

أدمى فاها... نعم الدم يسيل من فيها على رقبتها وثوبها والكل يتفرّج... لا أحد يتدخّل... لا أحد يتجرأ... ولا أحد يُنكر...

«لا يكفي... أريده أن يقبّل قدمي هوأيضا...».

يتابع آدم ما يحصل... من هناك من أسفل... بعين واحدة مُبصرة ... فيبكي غيظا وغضبا... يشتدّ به الحزن ويطغى عليه الكره... لكنه ضعيف... لا يستطيع حتى الحراك... يشتدّ به ألم جسده المكسور... ويطغى عليه ألم الحزن على أخته...

تقف مريم وتنزل الأدراج بصعوبة... تنحني وتهمس في أذن أخيها وهوطريح الأرض:

«افعلها يا آدم... افعلها...».

تصدمه تلك الكلمات... كيف بعدما فعل بهما ما فعل؟... أبعد ظلمه وخداعه يركع له؟ ويقبّل قدمه أمام الشاهدين وهو الظالم المستبد؟...

يراها وإذا بدمعة نازلة على وجنتها اليسرى... على وجه ليس فيه تعبير...

«افعلها وسنعود... المهم أن نبقى على قيد الحياة».

يردّ عليها آدم بصعوبة:

«نعود؟... أتدركين ما معنى... ما معنى أن نُنفى إلى القمر؟».

«سنعود... المهم الآن أن تفعلها...».

«لكن...».

«إن وضعت كرامتك في كفّة... وحياتك في كفة... لأي كفّة سيميل الميزان في رأيك؟...».

يصمت آدم... ويبقى كذلك للحظات... يقترب منه حارسان... يرفعانه من الأرض بصعوبة... رأسه يتمايل عن اليمين والشمال... نحو الملك يصعد الدرج بمساعدتهما... ثمّ يرميانه على المنصة بدوره... يمدّ صخر رجله... يرى فيه آدم ونار الغضب تحرقه حرقا... يرى من هناك إلى أسفل... أخته تنتظر... تترجاه أن لا يتهوّر... يغلق آدم عينيه... يقترب من قدم

الملـك ويقبّلهـا وهويقـول بصـوت منخفـض حتـى يسـمعه صخـر ولا يسمعه غيره:

«ما فعلتها عن رضى... بل من أجل أختي فقط...».

«ليـس مهمـا مـا تعتقـد... المهـم مـا يعتقـده شـعبي... أنـا مـن يقيـم العدالـة... وأنـا الملـك الرحيـم الـذي يصفـح ولوبلـغ جـرم المجرميـن مبلغـا لا يُغتفـر... أنـا الحاكـم الـذي يريـده الـكل... ويحبّه الكلّ...».

« تخفـي سـرّا... لهـذا أبعدتنـا لكـي لا ينكشـف أمـرك... لكنّك ستندم...».

يمتعـض صخـر ويقـف... يأمـر حرسـه بـأن ينزلـوا الخائـن... فيفعلـون أمـام أنظـار الجميـع... يُقتـادان إلـى شـاحنة خاصـة مدرّعـة... ومعهـا ركـب سـيارات ملكـيّ ... ينطلـق الركـب إلـى «الجسـر» المـكان الـذي تطلـق فيـه « سـفن النفـي « حاملـة المجرميـن والخونـة إلـى القمـر... المـكان الـذي لا يعـود منـه المنفي... « العالم الآخر».

تبقـى الجمـوع فـي سـاحة الإعـدام ويتوجّهـون بأبصارهـم نحوالغرب... أين يتم إطلاق تلك السفن... من بعيد ينتظرون...

وصـل الركـب إلـى الجسـر... وفـي المـكان ذاك سـفينة تتأهـب للإقـلاع... يخـرج كلا مـن آدم ومريـم مـن الشـاحنة وهمـا

مكبلان... لا يستطيعان حتى الكلام... فقد تم غلق فيهما برباط خاص حتى لا يسمع لهما صوت... يُعنّفان... يسمعان كلّ أنواع الشتم والإهانة... يُرميان داخل السفينة ويُتركان للحظة... يقترب الملك من الباب... يبتسم ويقول:

«أعلم أنكما بريئان... ليس لكما دخل فيما حدث وما سيحدث... لكن للضرورة أحكام... ولكل ظرف مستجدّاته... أنتما الضحية الآن... وهناك الكثير من أمثالكم سيدفعون حياتهم ثمنا لمشروع «يد العملاق»...».

«يد العملاق»؟... ماذا يقصد؟... عن أي مشروع يتحدّث؟ أمن أجل هذا سيُقدّمان قُربانا للقمر؟ أمن أجل هذا تُدفع أرواح مظلومة مقهورة؟ ما هو هذا المشروع؟ وما علاقتهما به؟... هويخفي أمرا... أمر خطير...

ينظر صخر فيهما ويبتسم فيما يبقى الأخوان ينظران فيه... ليست ابتسامة ساخرة... بل... بل فيها من الشفقة ما يحس به المرء من عينيه الذابلتين... تدرك مريم أن خطبا ما حصل قبل تلفيقهما التهمة... قبل كلّ هذه المسرحية الملعونة... أمر غيّر أخاهما صخرا وجعله يفعل ما فعل بهما... فيما يبقى آدم سارحا في عينيْ أخيه وكأنه يسأله:

«لماذا يا أخي؟... لماذا؟... ما الذي يشغل بالك؟... ما الذي يجري؟».

ينطق كلمات نابعة من أعماق نفس صادقة هاته المرة:

«آسف... سامحاني يا حبيبَيّ...».

ماذا؟ ماذا قال؟...

يغلق صخر عينيه... والحزن بادٍ على وجهه... نعم الحزن يرسم على وجهه لوحة كئيبة مظلمة... يدور وينزل من على السفينة... يناديه آدم لكن لا يستطيع... لا يستطيع إيصال صوته... كذلك فعلت مريم جاهدة دون فائدة... فالأربطة والقيود لفتهما لفا... منعتهما عن الحركة... عن الكلام... عن كلّ شيء...

يتحدّث الملك إلى أحد الرجال الملثمين... ويبتعد عن الأنظار... من بعيد يريانه وقد وضع يديه على رأسه... بخطى متثاقلة... مشى دون أن يستدير... رفقة حراسه... نعم الآن وبعدما قال تأكدا من وجود سبب منطقي لكلّ ما حدث... زاد تحركهما وأرادا الخروج من السفينة بأي طريقة... عبثا فعلا... يدخل ذاك الرجل الملثم إلى السفينة ويتجه إلى القُمرة لتسجيل المعلومات اللاّزمة والخاصّة بمسار السفينة... أتم عمله سريعا وهمّ بالخروج... يحاولان جذب انتباهه... بالتحرك والصراخ... عند الباب يستدير... يرى فيهما جيدا... ينزع اللّثام عن وجهه...

وإذا به...

قائد الحرس...

اللّعنة...

لم يمت...

لم يمت نعم...

حقيقة... يريك الزمن ما لا يصدّقه عقل ولا يطيقه خيال...

يجمدان في مكانيهما... فيما يقول قائد الحرس كلماته الأخيرة قبل تركهما:

«رحلة طيبة... إلى الجحيم...».

يبتسم... يغلق باب السفينة... ينزل ويبتعد... تبدأ السفينة في الاهتزاز... ستُقلع الآن... لم يبق هناك أمل... سيتركان الأرض التي عاشا فيها ولربّما سيموتان بعيدا عنها... تدمع عينا مريم في صمت... تبقى التساؤلات تنخر في آدم عميقا... دون إجابة... تترك السفينة الأرض وتطير... تسافر بهما إلى المجهول... إلى ما لا ينتظرانه... تخترق طبقات السماء تواليا... وتبتعد عن كلّ شيء... إلى اللا شيء...

من أسفل يراقب الملك انطلاق السفينة وغيابها رويدا رويدا عن الأنظار... إلى أن صارت نجمة لم تطل بقاءها... ما فتئت أن اختفت واختفى معها الأخوان... يغطي الملك وجهه بكفّه كي لا يراه الحراس... أمره انكشف رغم ذلك... يخفي دموعا صارخة تُبقي الغموض غموضا والسر سرا إلى حين تجلّي شمس الحقيقة...

الفصل الثاني

السجن الأبيض

لا يزال الغموض يكتنف الأخوين... حيرة كبيرة... تساؤلات عديدة دون إجابة شافية... الآن وهما خارج الأرض انتهى كلّ أمل في العودة... يزحف آدم ويقترب من أحد نوافذ السفينة ليرى روعة الفضاء الواسع... يرى الأرض وهي تبتعد... فيما تبقى مريم في زاويتها دون حراك... دون كلام...

«لقد نُفينا يا أختاه... ما باليد حيلة الآن...».

تبقى صامتة ساكنة...

«علينا أن نفكر الآن في كيفية للخروج من السجن الذي سيضعونا فيه...».

ترفع رأسها وبنظرة حادة تقول:

«لا أحد يخرج من «السجن الأبيض»... تدرك ذلك تماما لذا لا داع للحديث في الأمر... أن تأمل في ترك القمر والعودة إلى الأرض درب خيال... لم ولن يفعلها أحد...».

يندهش آدم مما سمعه للتو... ليس من عادة مريم أن تكون متشائمة حتّى في أحلك الظروف...

«لكن... ماذا نفعل؟... نستسلم؟...».

«لا أدري...».

«ما عهدتك هكذا مستسلمة مستكينة... أين أختي التي أعرفها؟».

تطأطئ مريم رأسها...

«أنطق بلسان الواقع...».

«وإن كان الواقع غير الذي تظنين...».

«لا أظن... أنا متأكدة مما أقول...».

«كيف متأكدة ورجلك لم تطأ القمر بعد؟...».

«تجارب من صدر فيهم نفس الحكم أصدق دليل... فلم يرجع منهم أحد إلاّ في نعش...».

«أنت تنطقين بلسان الريبة والخوف... بلسان اليأس الذي انتاب المنفيين... وليس بلسان الواقع...».

تسكت مريم... فلم تجد ما تردّ به على أخيها... ربما لأن الحقّ معه... أولأنها لم ترد أن يطول نقاشهما العقيم طويلا...

«حتى وإن...».

في نفس اللّحظة تهتز السفينة وتتفكّك... وتخرج منها المركبة الحاملة للأخوين... صارا الآن في مدار القمر... تعود السفينة بدفع الطاقة إلى الأرض فيما تسبح المركبة في الفضاء ريثما يُسمح لها بالنزول على السطح الأبيض...

من خلال المركبة الشفافة يظهر بوضوح ما يحيط بهما... يريان القمر أمامهما عملاقا مهيبا وقد أثرت فيه النيازك والأحجار الكونية... ظلال تضاريسه التي تلوّن سطحه تثير الإعجاب...

يشاهد الأخوان ذلك المنظر البديع...

يضيء زر أحمر في لوحة التحكم الآلية... لم يفهما المقصود... بسرعة أطلقت محركات المركبة طاقتها الدافعة واتجهت لتستقرّ على السطح في سرعة مذهلة... وكلّما اقتربت المركبة أكثر صارت معالم «السجن الأبيض» أوضح... داخل فقاعة قمرية حامية مئاتٌ من ناطحات السحاب البيضاء تزاحم بعضها بعضا... دون نوافذ أوأبواب... شاهقة عالية... اخترقت الفقاعة دون مشاكل... تُفتح بوابة المركبة ويدخل حارسان بلباس غريب أبيض... ينزعان عنهما أربطتهما لكنهما يتركان

القيـود... يحملان أسـلحة ليسـت كتلك المعهـودة علـى الأرض... دون أن ينطقا بكلمة يرفعانهما ويرافقانهما إلى الخارج...

«إلى أين تأخذانا؟... أهذا هو السجن الأبيض؟».

لا ردّ...

«لا تتعب نفسك في الكلام معهما يا آدم... لن يردّا عليك...».

«لماذا؟».

يقـف الحارسـان ويأتـي أحدهمـا قبالـة آدم ويقتـرب منـه... يحـدّق فيـه بعينيـه الحمراويـن... وكأنـه يقـول: «الـكلام هنـا ممنوع»... يدرك المقصود من نظرته تلك فيسكت...

يطـول مشـيهما فـي شـبه طريـق واسـع وخـال... المسـاجين؟ أيـن هـم؟... لا بـدّ وأنهـم فـي زنزاناتهـم... والزنزانـات هـذه فـي ناطحـات السـحاب... نعـم دون شـك... فـلا وجـود لأحـد سـوى الحـراس... ومنـذ وصولهـم وسـتار الصمـت مسـدول... هـدوء غريب... مخيف...

بصعوبـة يصلـون إلـى الناطحـة المقصـودة... ليـس مـن السـهل أن تمشـيَ مسـافة والأغـلال الثقيلـة عليـك... الجاذبيـة داخـل الفقاعـة كمـا علـى سـطح الأرض... الاختـلاف يكمـن فـي الأرض والسـماء... فـالأرض بيضـاء رمليـة... والسـماء سـوداء متلألئـة... تلك نجوم وكواكب أخرى...

رقم تسعة أعلى المدخل... يمرّر أحد الحراس بطاقة ويكتب رقما سريا فيُفتح باب المصعد... يدخل أربعتهم ويصعدون إلى الطابق الخمسين... يفتح الباب بعد لحظات وإذا بهم أمام رواق طويل أبيض... على جانبيه أبواب كثيرة... متقاربة... متشابهة...

«أهاته هي زنزانات السجن؟...».

لا ردّ...

«أجبني...».

في اللّحظة تلك يضرب الحارس آدم فيوقعه أرضا... تصرخ آية... يفرّقانهما... هويأخذانه إلى إحدى الغرف عن اليمين والمخصصة للذكور... أما أخته فإلى اليسار... الخاصة بالإناث... يُفتح الباب رقم ستة وثمانون... يُرمى داخلها وبسرعة يُغلق...

يجد آدم نفسه بداخل مكعب... أينما وجّه نظره أعماه البياض حتى استقرّت عيناه على... سجين آخر... كحاله مكبّل بالقيود وجالس في ركن هناك...

«من أنت؟...».

«سؤال غريب... ألست من أتى لتوه؟...».

«أهاته زنزانات سجن القمر؟... أليست انفرادية؟».

«نعم كما ترى... لكنها ليست انفرادية... سجينان لكلّ منها...».

«أنا آدم...».

«أنا لا شيء...».

«ماذا؟».

«للتو دخلت... لسنا أصدقاء...».

«...».

«مادمت لا تبحث عن مشاكل... فكل شيء على ما يرام...».

يقترب آدم من فراش خالٍ... يريد أن يرتاح...الأغلال تثقله والتعب يرهقه... يرتمي بصعوبة عليه ويتنهّد... فيم ينظر إليه السجين الآخر نظرة استغراب...

«أتيت مع أختي... فرّقانا وأخذاها إلى إحدى الزنزانات المقابلة...».

«تلك مخصصة للإناث... التي على اليمين... للذكور...».

«فهمت...».

يتمعّن آدم فيه... وإذا به شاب في مقتبل العمر... أبيض البشرة طويل الشعر منسدل على كتفيه... قوي البنية...

«ماذا؟».

«لا شيء...».

«كيف لا شيء؟ نظراتك لم تفارقني منذ لحظات؟... ماذا تريد؟».

«كيف نخرج من هنا؟...».

يضحك الشاب ويرتفع صوت ضحكاته السّاخرة...

«تخرج؟... لتوّك أتيت... لن تخرج من السجن الأبيض مهما كان...».

«ماذا؟».

«من يدخل هذا السجن لا يخرج منه إلا ميّتا...».

«لكنّنا مظلومان...».

«كلام كلّ المساجين... الكلّ مظلوم هنا... وفي الحقيقة كلّنا مجرمون...».

«صدّقني... ظُلمنا... اتُّهمنا بالخيانة العظمى... كانت مكيدة... أو... لم تكن... لا أدري كيف أشرح لك...».

«عن ماذا تتكلّم؟...».

«لا شيء...».

«اسمع أيها الأشقر...».

«ماذا تقصد؟».

«أنت أشقر وعيناك زرقاوان...».

«ادعني بآدم... هذا اسمي...».

«صِراع...».

«أكمل يا صراع».

«كل من في السجن الأبيض مجرمون... وما جُعل القمر إلا منفى لأمثالنا نحن المرفوضين...».

يصرخ آدم:

«قلت لك نحن مظلومان... لسنا مجرميْن...».

«حسنا اصمت الآن... سيأتينا الحرس وندفع ثمن صراخك غاليا...».

«ماذا سيحصل؟».

«يعذبوننا».

تجحظ عينا آدم... لا يضيف كلمة...

«من أي مملكة أنت؟».

«أنا من «شامبالا»...».

«وأنا من «بابل الجديدة»...».

«كيف يُوزّعُ المساجين؟».

«يضعون في زنزانة اثنان من مملكتين مختلفتين... تمضي معظم وقتك فيها... هناك أوقات راحة... يلتقي فيها مساجين

الممالك الخمسة تحت حراسة شديدة... يستعملوننا كيد عاملة في أمور كثيرة... ما يُنتج هنا يُوجّه إلى الأرض... نعمل كالعبيد ونهايتنا معروفة...».

«كيف معروفة؟». قالها آدم قلقا...

«بعد أن نصبح عاجزين عن العمل يطلقوننا في الفضاء...».

ينتفض آدم... بل ويرتعب...

«نعم هذا ما سيحصل... لكن لن يطول هذا الظلم...».

«ماذا تقصد؟...».

«أقصد أنّك محظوظ أيّها الأشقر... لن يطول بقاؤك هنا أنت وأختك...».

«ألم تقل لي أنّ من يدخل هذا...».

«كنت أمزح...».

«تمزح؟... اللّعنة...».

يدرك آدم أن صراعا يخفي أمرا...

«إذن قلت لي أنك مظلوم... أنت وأختك...».

«لا أدري بالضبط ما حصل... كانت مكيدة دبرها أخي الذي صار ملكا الآن... تم اتهامنا بالخيانة... تمكن من خداع الكل... بسبب ذلك أُرسلنا إلى القمر...».

«ولماذا فعل ذلك برأيك؟».

«لا أدري... والله لا أدري... قبل إقلاع السفينة ظهرت على وجهه علامات الندم... وكأنه كان مرغما... نعم كان مرغما متأكّد من ذلك... لم تكن سوى تمثيلية... كان يتكلّم عن... عن مشروع «يد العملاق»... أولا أدري...».

يفتح صراع عينيه دهشةً مما سمع...

«أعد ما قلت... «يد العملاق»؟».

«نعم... «مشروع يد العملاق»...» ردّ عليه متعجبا من دهشته وانفعاله...

يقترب منه ويهمس:

«لا تُعد ما قلته لأي مخلوق... واحذر أن يسمعك الحراس...».

«لكن...».

«انتهى الأمر... ارتح الآن... ولا تقلق على أختك... لن تتعرض لسوء ما دامت مطيعة...».

يبتعد صراع ويستلقي على فراشه... يصمت آدم وآلاف الأسئلة تراوده... غرق في بحر الألغاز الغامضة... ولم يجد يدا تخرجه منها فتنقذه...

من على سطح القمر لا فرق بين ليل ونهار... سواد معتم... كبير واسع... حياة دون ألوان...

مـرّ زمـن وبـدأ «الأميـر الصّغيـر» بـإدراك مـا يـدور حولـه... يكتشـف كلّ يـوم أمـرا قـد خفـي عنـه... أوفهمـه علـى غيـر حقيقتـه... فعكـس مـا كان يعتقـده ومـا قالـه صـراع هنـاك مـن المسـاجين مـن هـم علمـاء وقـادة... عصـف بهـم زمـن الغـدر كما عصـف بمـن أخلصـوا لأوطانهـم... فوجـدوا أنفسـهم هنـا... بعيدين منفيين إلى الأبد...

المسـاجين هنـا كالإخـوة مـن الممالـك الخمسـة... لا فـرق بينهـم... بالرغـم مـن ظلـم الحـراس إلا أن بعـض البسـمات هنـا وهناك لا تغيب... في وسط هذا العالم الغريب...

كوّنـت مريـم صداقـة مـع رفيقـة الزنزانـة... تبدوتلـك الشـابة مألوفـة... أخـذ آدم ينظـر فيهـا مطوّلا ويحـاول اسـتذكار هـذا الوجه الملائكـيّ أيـن رآه... كيـف لجمـال كهـذا أن يُنفـى؟ كيـف لمثـل هذا المخلوق أن تطأ قدماه سجنا؟...

تسـتدير أختـه مريـم نحـوه وتبتسـم... تـدرك أن جمالهـا قـد أسره... يتوتر آدم ويغضّ بصره... تتقدم مريم بصحبتها نحوه:

«ما الذي يشغل باك يا آدم؟ «ثم تضحك بمكر...

«لا شيء... لم تعرّفيني بعد عن رفيقتك الجديدة...».

«آه صحيح... آسفة... «سحاب» من مملكة الأنوار...».

تقترب الفتاة أكثر وبخجل تحييه:

«متشرفة بمعرفتك...».

«ليَ الشرف...».

في تلك اللّحظة ينظم صراع إلى المجموعة...

«ماذا تفعل أميرة مملكة الأنوار في «السجن الأبيض»؟».

يُصدم آدم مما سمعه... كيف ذلك؟... أميرة؟...

تهمس مريم حتى لا يسمعها الحرس:

«آدم... ما يحصل ليس محض صدفة... هناك الكثير من الأمراء من مختلف ممالك الأرض تم سجنهم... والبعض منهم نُفي إلى هنا... كمثل حالنا...».

لم يفهم صراع جيدا ما قالته مريم... أولنقل لم يصدق ما سمع... فأراد التأكد لجهله بحقيقة آدم:

«أنتما أميران؟...».

يردّ آدم: «نعم... دعنا من هذا الآن... فسّري لي سبب نفينا إلى هنا يا أختاه...».

تزيد الأمور تعقيدا... يُسدل الغموض ستارا على ستار...

«لماذا نفينا نحن الأمراء إلى القمر في سجن يعجّ بالمجرمين والخونة؟ «يسأل مرة ثانية وبإلحاح...

ترد عليه الأميرة سحاب هامسة:

«ستعرف ذلك بعد لحظات... صبرا...».

يسود الصمت فجأة... وتعلوصافرة السجن بصوتها أرجاء المكان معلنة نهاية فترة الراحة... يعود كلّ سجين إلى زنزانته... مكبّلا بالقيود التي صارت منه جزءً... ألفها وألفته... واعتاد الجميع على صوتها الرنان على الأيادي والأرجل... صوت يذكرك دوما بضعفك وهوانك... بقلة حيلتك... بتبعيّتك لمن هوأقوى منك...

يدخل كلا من آدم وصراع الزنزانة ويغلق الباب آليا... ستبدأ دوريات الحراسة في التأكد من عودة الكل إلى جحورهم... يجلس صراع قبالة آدم... ويبتسم...

يبتسم؟... نعم يبتسم... قبل هذا اليوم... قبل اللّحظة هاته لم يره أبدا يبتسم...

فجأة تطلق صفارات الإنذار وتُفتح كلّ أبواب الزنزانات...

ما الذي يجري بحقّ الإله؟...

يقف صراح ويرخي يديه وإذا بالأغلال تسقط منها ومن رجليه بسهولة...

الحقيقة أنّه لم يكن مقيّدا... لربّما لم يكن يوما مقيّدا... تبًّا ماذا يحدث؟

ينظر فيه آدم... مندهشا ومصدوما:

«ماذا يحصل؟... وكيف بالأغلال التي...».

يقاطعه صراح وقد جذبه من كتفه:

«تعال... فيما بعد ستفهم... أرخ يديك الآن...».

يفعل ما طلب منه وإذا بالأغلال تسقط كقطع خشبية مكسورة...

كان تمرّدا... تمّ الهجوم على مركز المراقبة وعُطل نظام التحكم في المساجين... خرج الكل أحرارا وعمت الفوضى المكان... من المحال السيطرة على الأمواج البشرية الهائجة... الطاغية بروح الكره والغضب... ارتفعت الصيحات والضحكات... اللّحظة التي انتظرها المنفيون منذ زمن... ساعة الانتقام حلّت... وبها نهاية العبودية تجلّت...

احتدم القتال وتم القضاء على معظم الحراس بأيادي المساجين العارية الضّارية... من بقي من هؤلاء الظلمة صار يطلق النار عشوائيا... فسقط المئات من المساجين موتى... والكثير من الجرحى... بلغ الأمر مبلغا خطيرا... تلوّن السجن بالأحمر وتدفقت الدماء سواقيا... ترامت الأجساد على تراب القمر تواليا... صارت قطعة من هول يوم عظيم... قطعة من مآسي سارقة للأرواح... جالبة للأقراح... لكن الثمن غال... ولا مناص من التضحية...

كلّ المساجين يلتحقون بمكان يطلق عليه اسم « الملتقى»... وسط السجن الأبيض ساحة تجمع الكل... وإذا بالأميرة سحاب هناك... واقفة تنتظر... يلتحق آدم وصراع بالمساجين في الساحة... مشهد مهول... الآلاف من المنفيين في مكان واحد على اختلاف ألوانهم ومذاهبهم... اعتقاداتهم ودياناتهم... الكل هنا على كلمة واحدة... الحرية...

قلب آدم مع أخته التي لم يرها منذ ساعات ... وإذا به يلمحها قرب سحاب... مبتسمة مطمئنة... كانت على علم... على دراية بما سيحصل... يدير رأسه نحو صراع وينظر فيه نظرة امتعاض...

«ماذا؟ لماذا تنظر فيّ هكذا؟».

«الكل على علم... والكلّ كان متحضّرا للانقلاب... إلا أنا... لما لم تخبرني؟».

«تتكلّم كثيرا... ولا تجيد إخفاء مشاعرك... لوقلت لك لكشف أمرنا ولكنت السبب في فشلنا...».

«أنا وحدي أتسبب في فشل خطة انقلاب؟».

«اصمت الآن...».

في اللّحظة نفسها يُسمع صوت غريب... تهتزّ الأرض بشكل غير طبيعيّ... ينتاب الفزع

القلوب... ماذا يمكن أن يكون؟...

من بعيد... يمكن رؤية «حوريات القمر «قادمة...

آلات حربية شكلها شكل إنسان... عملاقة... تستيقظ لتعيد النظام حال غيابه... وتعود لسباتها بعد إتمام المهمة...

إلا أنها آلات حربية...

لا تحس... لا تشعر...

لا تأبه بمن عاش أومات...

القضاء على المتمردين... مهمتها الوحيدة... التي لم تحِد عنها مرّة...

رأوها وكأنهم رأوا الموت القادم... ينقشع غبار القمر المتصاعد لتخرج تلك الآلات من العتم... صارخة مدوّية... كثيرة العدد... جبّارة... مخيفة... تقترب رويدا رويدا...

لا مجال للبقاء هنا... يجتاح الرعب الأنفس ويهم الكلّ بالهروب قبل وصولها... قبل قدوم الموت...

«تبًّا ما هذا يا صراع؟؟؟» قالها آدم بصوت مرتجف خائف...

«لا شيء... لا تعرها اهتماما...».

«ماذا؟... ألا ترى أن هاته الوحوش قادمة؟».

لا يردّ عليه...

بارد برود جليد لا يذوب...

في اللّحظة تلك... صوت من جوف دوامة البشر أوقفهم... اخترق مسامعهم وتمكّن منهم... صوت الأميرة سحاب...

«ابقوا واثبتوا... لا تتحركوا... لن توقفنا هاته الآلات البكماء عما نريد... ثقوا بما أقول».

كان لكلامها وقع على الأنفس غريب... أطمأنهم؟... كلا... فقد اقتربت الآلات منهم كثيرا... وصار على كلّ عاقل ترك المكان... إلا أنهم بقوْا... وكأنه سحر تمكّن من أرواحهم المؤمنة... دفعهم لأن يواجهوا المجهول...

تجحظ الأعين نحوحورية اقتربت منهم... هزت بهم الأرض هزا... صرخت صراخ امرأة معذبة... يقهر الخوف من لم يثبت... ومن خانته شجاعته هرب وترك البقية...

دنت منهم الحورية... فبلغت القلوب الحناجر... إلا سحاب... بقيت واقفة دون حراك... وفي عينيها نظرة تحدّ قلّ أن يراها إنسان...

توقفت الحورية عن الحراك... وتبعتها في السّكون والجمود الحوريات الأخرى...

ماذا؟... ماذا حصل؟

توقفت... تعطّلت... غابت الحياة عنها... خمدت تماما...

تبتسم سحاب... تلمح شابا قادما نحوهم... مخترقا الغبار... تشير إليه بيدها... يتسابق الكل لرؤيته... يا ترى من يكون؟...

«لقد وُفّقت في مهمتك... أحسنت يا «ظلام»...».

يقترب المدعوّ «ظلام» من الجمع... كان شابا أسود سواد اللّيل... ذوشعر أبيض قصير... طويل القامة... حادّ النظرة... أحمر البؤبؤين... بيده جهاز تحكم عن بعد... رماه على الأرض وحطّمه بقدمه...

يبتسم ثمّ يقول:

«لم يبق سوانا على القمر يا أميرة مملكة الأنوار...».

ترتفع صيحات الفرح من هاته الجموع الغفيرة... لقد أنقذهم هذا الغريب...

«لقد وَفّيت بما وعدت...».

«لواستعملت قوتي لكان الأمر أسهل... لقد طال الأمر وأنا أبحث عن منبع حياة الحوريات... مجرد خردوات».

«لواستعملتَها لقُضي علينا جميعا...».

وسط الكل... يمتاز آدم بدهشته... يبقى دون حراك...

«هـذا الـذي تـراه الآن... هوأميـر مملكـة «الظـلال الثلاثـة»... المملكة الممنوعة عن الخلق...».

«ماذا؟».

«وأمامك أمير مملكة بابل الجديدة...».

ينقطـع نفـس آدم ويعـود إلـى الـوراء... لـم يصـدّق مـا سـمعه توًّا...

«أنت... أنت أمير أيضا؟؟؟».

يبتسم صراع ويردّ:

«نعـم... لا تسـألني عـن سـبب إخفائـي لهـذا الأمـر... لأنـك تعرفه...».

أميرين مـن مملكـة «شـامبالا»... أميـرة مـن «مملكة الأنـوار»... أميـر مـن مملكـة «بابـل الجديـدة» وأميـر مـن «مملكـة الظّـلال الثّلاثة»... في مكان واحد... في السجن الأبيض...

«الآن سـتعرف الحقيقـة... لمـاذا نحـن هنـا... ولمـاذا تمرّدنا... وما هومشروع «يد العملاق»...».

لـم يجـد آدم ما يـرد بـه علـى صـراع... خلـد إلـى الصمـت لعلّه يؤنسـه... فمـا يحصـل الآن جنـون... وحقيقـة فاقـت فـي خيالهـا خيال...

الفصل الثالث

يـــد العمـــلاق

بعـد أن اعتلـى المتمـردون عـرش أقدارهـم... صـار مـن الـلازم أن يقودهم قائد... وأن يعود بهم إلى الأرض عائد...

اعتلـت «سـحاب» إحـدى الحوريـات... وألقـت كلمـات وحّدت بها الصفوف... وجمعت بها الأرواح:

«أيهـا «الأحـرار»... علـى اختـلاف منابعنـا ومشـاربنا... هدفنا لا يـزال واحـدا... فرغبـة الطفـل المشـتاق فـي حضـن أمـه لا تعوضها رغبـة... ولا تنسـيه فيـه مشـغلة... نحـن الأطفـال المنفيـون... المبعـدون عـن أرضنـا... عـن أمنـا... عـن حبيبتنـا... آن الأوان لنعود...».

تتعالى الأصوات المساندة والهتافات باسم الأميرة:

«سحاب... سحاب...سحاب».

«منا من سُمِّي بـ «مجرم»... هناك من قتل... من اغتصب... نعم هناك من فعل كلّ ذلك... وهناك من اتُّهم ظلما... هناك البسطاء والأمراء... رغم هذا... لا نزال أبناء أرضنا... مهما حاولنا... لن نكون غير جزء منها... قطعة من «أُمّنا»... فالنترك هذه الحسابات... لننسى العداوة... ولنوحّد قلوبنا وعقولنا فيما يجمعنا لننجُوَ مع بعض... لن نحكم على بعضنا من هاته اللّحظة... لازلنا قادرين على العودة... وحقّنا أن نعود... وسنعود...».

تتعالى الصيحات أكثر... يُعجب آدم بفصاحة الأميرة... بشجاعتها وإقدامها... الكلّ معها الآن...

«نحن أبناء الأرض... لسنا أمراء... لسنا مجرمين... لسنا مخدوعين ولسنا مظلومين... مهما كان سبب نفينا فقد كان ظلما... أكان إبعادنا عقابا أوحماية... يبقى ظلما... لهذا سنعود... لأننا أبناء الأرض... ولسنا غير ذلك... ولن نقبل أن نكون غير ذلك... وإن عُوقبنا على أمر اقترفناه فالنُعاقب بعدل وبميزان الحق في أرضنا فقط...».

تزيد الصيحات والهتافات...

ترفع صوتها أخيرا وتقول:

«لعل أكثركم يعلم أن الحرب قادمة... تهدّد أوطاننا هناك... إن لم يتم إيقافها فستأتي على الأخضر واليابس... علينا أن نمنع ذلك... علينا حماية أوطاننا بما استطعنا... فماذا تريدون أنتم؟...».

ترتفع الأصوات:

«عودة... عودة... عودة...عودة...».

تقشعر الأبدان وتدمع الأعين... يزيد شوق المشتاق إلى ما ترك... أخيرا يعود الأمل...

يستغرب آدم ما قالته... لم يفهم... عن أي حرب تتكلم؟...

يرى فيه صراع ويدرك أن الفتى قد فاته الكثير...

«تعال...».

تنزل سحاب... وتبدأ التحضيرات للعودة إلى الأرض مباشرة بعد شحذ الهمم... جمع المؤونة والأدوية... تجهيز السفن المخفية سرا في جوف القمر للانطلاق... تعديل برامج التحكم في الحوريات... جمع ما يمكن جمعه من أسلحة...

في نفس الوقت يجتمع الأمراء للتكلم فيما يجب القيام به من خطوات...

«سحاب»... «صراع»... «ظلام»... «آدم» و«مريم»... الأمراء المنفيون... حول طاولة يتناقشون...

«أيمكنني أن أعرف الآن لماذا نحن الأمراء نُفينا إلى القمر؟... وما قصّة هذه الحرب؟... ومشروع يد العملاق؟ ما المقصود به؟». يسأل آدم...

يرى بعضهم في بعض... تجيبه سحاب:

«نُفينا قصد الحماية... لإبعادنا عما سيحدث قريبا... بما أننا وُلاّة العهود فقد قرر ثلاثة من أصل خمسة ملوك أن يتم ذلك... أقصد ملك «شامبالا»، ملك «الأنوار»، وملك «بابل الجديدة»... ولا مكان أبعد وأكثر حراسة من السجن الأبيض على القمر... لم يكن عقابا... أوتهمة بالخيانة العظمى كما حصل لي ولكم... بل حماية لأرواحنا وحفاظا على الخلافة...».

يقاطعها آدم غاضبا:

«لكننا قتلنا من الحرس المئات بل الآلاف... وقد كانوا مأمورين بمهمة... فما دخلهم في كلّ هذا؟».

يرد عليه صراع:

«منعونا عن كل شيء... حاصرونا وسرقوا منا حريتنا... يستحقون ذلك... الموت لهم جميعا...».

يرفع آدم صوته:

«قبول المجرمين والخونة ونسيان ماضيهم وما فعلوا... وجعلهم فرسانا وشجعانا... هذا في رأيكم قرار حكيم... أما إزهاق أرواح... قتل بشر أوفياء لما استُخلفوا فيه وقد كانوا أمناء في مهامهم... بالرغم من اختلافنا معهم... في رأيكم أمر هيّن؟... لا بأس أن يُقتلوا أليس كذلك؟...».

ترد عليه سحاب:

«ليس باليد حيلة... لم يكن لنا خيار... الغاية تبرّر الوسيلة... المهم في كلّ هذا أنّنا...».

لم تكمل فقاطعها صارخا:

«لن أشارك فيما رمتم إليه... سآخذ أختي ونعود سويا...».

يصمت الكلّ... يرى بعضهم في بعض... وإذا بهم يبتسمون...

«ماذا؟».

«كان فقط اختبارا لك... وكما قالت من قبل سحاب... بقيت أنت فقط من لم نتأكّد من نقاء باطنه وصفاء سريرته... ردة فعلك هذه تدل على ذلك... هؤلاء الحراس آليون مثلهم كمثل الحوريات... ليسوا بشرا رغم من شبههم الكبير بنا... مع كلّ هذا أنا فخورة بك يا أخي...». قالتها مريم وابتسامة عريضة على وجهها...

يُدهش آدم مما سمعه... ينظر في الأمراء... ثمّ في سحاب وإذا بها تبتسم له... يخجل فيطأطئ رأسه...

«هيا... ابق معنا...». يُطمئنه صراع...

«حسنا... لا بأس... أريد الاستفسار عن أمور أخرى...».

«تفضّل «تجيبه سحاب.

«قلتِ ثلاثة من أصل خمسة... والأمراء الباقون أين هم؟».

تنظر باتجاه ظلام... هذا الأخير يبتسم ويرد عليه:

«أنا أحد الأمراء... أمير مملكة «الظلال الثلاثة»... لكن لم يُحكم عليّ بالنّفي... بل أتيت هنا طواعية... لي مهارات تخفٍ... فقصدت السجن الأبيض لهدف معين...».

تظهر على آدم علامات الخوف من هذا الأمير... شكله غريب وباطنه مريب...

«وما هو؟» يسأله بتردد.

«لنقل خبر الحرب القادمة بين الممالك الأربعة ومملكة «الظلال الثلاثة»...».

«كيف؟ ماذا سيحدث؟».

يردّ عليه صراع:

«قرّر ملك «الظلال الثلاثة» غزو الممالك الأربعة الباقية... وضمها جميعا لمملكته... السبب؟... جنون العظمة... حبّ السيطرة... الجشع والطمع... فأعلن جهرا معاداته لباقي ملوك الأرض... وهدّد بحرب تأتي على كل من فيها... فانتهى الملوك الباقون... ملك «شامبالا»... أخوك أقصد... وملك «الأنوار» والد سحاب... ملك «بابل الجديدة»... أبي... وملك «مملكة السماء» على ما يسمى بـ «يد العملاق»... مشروع نشر

السلام والأمن في الممالك الخمسة وجعل مملكة «الظلال الثلاثة» جزءً من هذا الإتحاد... خمس ممالك عظيمة كأصابع العملاق الخمسة...».

تتضح الصورة أخيرا... ويدرك آدم أن ما قام به أخوه وباقي الملوك ما كان سوى خوفا ورعاية... حفاظا على نسل الملوك الذي لا يجب أن ينقطع... فعلها ليحافظ على مملكته من طمع الطّامعين... لكي لا تكون في يد من لا يستحق...

لكن...

«سكان المملكة... أكانوا على علم بذلك؟...».

يرد عليه ظلام:

«لا... كذلك حصل مع بقية الأمراء... لم يكونوا ليدركوا أنها خطة حماية لولا الأخبار التي أتيت بها من الأرض...».

كانت تضحية... أوهمونا أنها مكيدة... أننا مجرمون حتى يبعدونا عن كل ما سيحدث... حتى لا نعود... هذا السجن الذي حرمنا من الحرية كان القوقعة الحامية... نحن الأمراء فقط لم نكن نعلم... أكان أملهم فينا لهذه الدرجة؟... نعم... لابدّ...

يسرح آدم للحظات... تعيده مريم بقولها:

«حتى أنا لم أكن أعلم... أخبرتني سحاب بالحقيقة...».

«علينا أن نعود إلى الأرض ونعمل على تحقيق مشروع «يد العملاق» مع ملوك الأرض... علينا تشكيل تحالف ثان بيننا وبينهم... ما يجعلنا جديرين بذلك هو إثبات وجودنا وقدرتنا على الدفاع عن أراضينا وشعوبنا... لا نحتاج لحماية... لسنا أطفالا... فكما على الملوك مسؤولية ممالكهم... على كلّ واحد منا مسؤولية الحفاظ على إرث مملكته... فلكل سرّه المكنون وكنزه المخفي... لا تنسَوا ذلك...».

قالتها سحاب والكل موافق... غير أن آدم لم يرتح تماما...

«ماذا عن أمير مملكة السماء؟ ليس بيننا...».

يرد عليه صراع:

«آثر الملك أن يبقيه... يساعده في المواجهة القادمة فهو قائد قوات «مملكة السماء»».

يستدير آدم نحو ظلام... يرى فيه جيّدا... يستغرب الشاب نظراته المريبة فيسأله:

«نعم؟... ما الأمر؟».

«أتدرك أننا في حرب ضد أبيك لاسترجاع مملكتك وضمها إلى التحالف؟...».

بكلّ هدوء يرد:

«نعـم أدرك... كنـت ولا زلـت علـى خـلاف مـع أبـي... لـم أشـاطره رأيـه ولـم أتّبـع تعاليـم حكمـه... تمـرّدت عليـه فتوعّدنـي بالمـوت... تركـت المملكـة علـى إثـر حادثـة وقعـت بينـي وبينه... لم أستطع العودة بعدها...».

ما الذي حصل بالذات؟... ما الذي يخفيه؟...

«وإن تـم القضـاء عليـه... كيـف سـتكون ردّة فعلـك؟... مـاذا ستفعل؟...».

أسـكت كلام آدم الجميـع... بقـي ظـلام محدّقـا فـي آدم... دون تعبيـر... وكأنـه يقـول... لا أدري... لا أعلـم... لا أريـد أن يحصـل ذلك...

يبقـى السـؤال ذاك دون إجابـة... يقف الأمـراء منهيـن اجتماعهم القصير...

«الـكل هنـا يعتمـد علينـا... فنحـن الأمـراء مـن سـنقودهم إلـى النصـر العظيـم... نحتـاج الـكل... لا فضـل لأحدنـا علـى الآخر... كلنـا واحـد والواحـد للـكل... أقتـرح أن يكـون «صـراع» القائـد... البابليون مشهورون في فن الحرب...».

الكل يرى في صراع... يبتسم ثمّ يقول:

«إن شئتم...».

وافق الـكلّ علـى مـا اقترحته مريـم... بمـا فيهـم أخوهـا الذي لا يـزال فـي دوّامـة... لـم يسـتوعب بعـد كلّ مـا قيـل... فقـد توالـت

الأحداث سريعا والظاهر أنّ القادم أعظم... ضغط كبير ومسؤولية تُلقى عليهم مرة واحدة...

آمال الكل معلقة عليهم...

أمال المنفيين في العودة...

آمال العودة إلى الأم...

هناك بعيدا... يجتمع ملوك الأرض استعدادا للمواجهة القادمة...

في قلعة بين الممالك الخمسة يجتمعون...الملك «أبروهوم»... الملك «شعاع»... الملك «صخر»... والملك «خيموناس»... كلهم يد واحدة ضد ملك الظلال الثلاثة «مورتيس»...

«الوقت يداهمنا... الأعين التي أرسلتها لتستخبر لمحت أمرا غريبا وتحوّلا غير طبيعيّ... برودة غير عادية... وهيجان للبحر... إنه هودون شكّ...». قالها ملك بابل الجديدة أبروهوم وعلى وجهه القلق بادٍ...

«حسنا... بدورنا علينا أن نتحرّك... لقد حضّرنا جيوشنا جيّدا لهذا اليوم... لن نترك «مورتيس» يستحوذ على كنوزنا المكنونة... لن نترك له الممالك الأربعة...» يردف شعاع ملك الأنوار

«ليس بعد أن فارقنا أزواجنا وهجّرنا إخواننا وأولادنا نستكين ونستسلم... لن تذهب هذه التضحية هباءً... «يؤكّد صخر ملك «شامبالا»...

«آن أوان استرجاع مملكة «الظّلال الثلاثة»... بقاء المُلك في يد «مورتيس» سيؤدي بنا إلى الهلاك عاجلا أم آجلا... على كلّ حال... سنربح وقتا إضافيا نتقدّم فيه أكثر نحو«أراضي الموت»... جيوشي مرابطة على تلك الحدود وابني هناك يحرص على تأخير تقدّم «مورتيس» وجيوشه...».

«ابنك بطل يا «خيموناس»... وله من خبرة الحروب ما يجعلنا نطمئن...» قالها شعاع مرتاحا...

«ليس كالبعض... يرسلون أبناءهم الأمراء بعيدا عن الأرض خوفا عليهم وحفاظا على نسلهم الملكيّ ... ونحن هنا نصارع القدر فلا ندري إن بقينا أحياءً أم يكون مصيرنا الفناء...».

يُغضِب قول «خيموناس» الحاضرين... وبدت بوادر الخلاف...

أبروهوم: «ماذا تقصد؟».

شعاع: «القصد واضح... هو...».

تدخّل صخر في تلك اللّحظة ومنع تأجّج الخلاف بقوله:

«كلّ فكّر فيما هوخير لمملكته... أما الآن فنحن يد واحدة... نريد تحالفا يقضي على الشر القادم من الغرب... الشقاق يضعفنا... يهلكنا... فلا داعيَ للخوض فيما يفرقنا الآن...».

يدرك السامعون المقصود... فالأهم الآن هوالتركيز على ما يقوّي الشوكة... وترك مما يجعل حدّ سيف الجماعة يصدأ...

يجمعهم بكلمة على كلمة الحق... وينسيهم تفاهات تسبب خسارتهم وخسارة أوطانهم...

ينهض الكل من المجلس بنهوضه... يتوجه نحونافذة تطل على أراضٍ شاسعة ملء البصر... من بعيد يرى السواد قادم... برا وجوا...

«مورتيس قادم»...

أتى «عين» أبروهوم من أراضي الموت بالخبر اليقين... فعلا... هو«مورتيس»...

بقلق وتوتر ينظر صخر في «خيموناس»... هذا الأخير يبتسم... وكأنه يقول دع الأمر لابني... فهناك وقت بعد...

على حدود أراضي الموت القريبة من مملكة الظلال الثلاثة تستعد جيوش الأمير «رعد» للحرب الوشيكة... خمسة آلاف جنديّ وأزيد من ألف سفينة... جيش مدجّج بالسلاح وعزيمة على الفوز لا تضاهيها عزيمة... يتقدّم الأمير على رأس الجيش وينتظر زوال الضباب الأسود الذي حجبهم عن رؤية قصر الملك من بعيد... لكنه لم ينقشع... بل زاد... يبتسم الأمير وينادي في جيشه:

«لا بدّ وأنهم خائفون ... لا وجود لجيش «مورتيس»... لربما ارتدّوا وهم الآن يحتمون خلف أسوار مملكتهم...».

يضحك الجمع لما سمعوا... النّصر أكيد بالنسبة للأمير... فما خسر حربا قطّ... ولا هان عليه دخول مدينة مهما بلغت حصانتها وجَلدُ من يحميها....

في نفس اللّحظة... يظهر ظل من خلف ستار الضباب... يلمحه قائد الجنود فيشير إليه... الكل نحوه... يسود الصمت... ويحسون بأمر غريب... تبرد أجسادهم فجأة... ويشعرون بالوحدة والفراغ... مع التفاف الضباب عليهم يزيد ارتباكهم...

ما الذي يحدث؟...

ما هذا؟...

يفتح رجل باب الجحيم ويظهر... سواد على سواد... يكاد يعجز اللّسان عن وصفه... هوقطعة حية من ليل مظلم... رداء أسود طويل وبشرة سوداء... شعر أبيض طويل... منسدل على الظهر... ولحية طويلة بيضاء... عيناه جمر مشتعل... تنطلق من جسده أبخرة من ناره ...

«من أنت أيها الغريب؟ «يسأله رعد.

يبتسم... يقترب أكثر ويجيبه:

«أنا الجيش الذي ستواجهونه... أنا «مورتيس»... ملك الظلال الثلاثة...».

الفصل الرابع

العـــــــودة

يقتـرب «مورتيـس» بخطـى ثابتـة... يمـزق إزار الضبـاب الأسـود... ويخـرج إلـى العلـن... أمامـه جيش «رعـد» أميـر مملكة السـماء... يقـف للحظـات... تنطفـئ نـاره المشـتعلة... ويُسـمع صـوت أنيـن مخيـف... يئـنّ «مورتيس» مـن ألمـه... مـن ألم الشـرّ الذي يلتهمه من الدّاخل... فعلا مخيف...

بعد خمود لهيب عينيه يظهر جليا أنه...

«أنت أعمى؟». يقولها «رعد» مندهشا...

يبتسم «مورتيس» دون ردّ...

«أتتحدّاني أيّها الأعمى؟» يصرخ «رعد»...

لا يردّ...

ينـزل مـن علـى مركبتـه وأمـام الجميـع يحـاول إظهـار قوّتـه مفتخرا بنفسه، متعاليا على «مورتيس»:

«أنـت أسـطورة أُشـبعت بأكاذيـب تُتـداول إلـى الآن... لسـت شيئا... أنت لا شيء...».

يضحك عاليا ويقابل جيشه... يزدري ويستهزئ به ...

«ما لكم يا قوم خائفين؟ إنه وحده... وهوأعمى...».

بينمـا هوفـي غمـرة الضحـك يمسـكه «مورتيـس» مـن رقبتـه ويرفعه من الأرض أمام دهشة الجميع...

«اللّعنة... أتركني... أتركني...».

بحركـة بسـيطة... تشـتعل نـار سـوداء فـي جسـد «رعـد»... وإذا بلحمـه يتسـاقط قطعـا قطـع علـى الأرض... سـابحا فـي دمـه... لم يبق سوى هيكله العظمي في يد الموت...

أمـر لا يُصـدّق... تعقـد الدهشـة الألسـن... تتجمد الأجسـاد فلا تتحـرك... يرمـي الهيـكل علـى الأرض فـإذا العظـام تسـودّ وتتفتّت...

يعود الكل إلى الخلف... خوفا وخشية من هذا الساحر...

يرفع «مورتيس» يده...

يلوّح بها...

وإذا بالنار السوداء تلتهم الجيش بأكمله...

خمسة آلاف جندي يُشوَون... لغاية التفتت...

لم يبق من جثثهم شيء... تذوب مركباتهم على بقايا عظامهم المحروقة...

لم يبق لسفنهم أثر...

في لمح البصر...

بحركة بسيطة واحدة...

يكمل «مورتيس» طريقه... تاركا أراضي الموت... مُريدا الممالك الأربعة... هدفه واحد... أسرارها المخفية...

بعيدا هناك تتحضّر جيوش التحالف للحرب القادمة... ليس لهم فكرة عن مدى قوة جيش الظلاميين... لكنهم استعدّوا... هم ينتظرون علامة... إشارة من الأمير «رعد»...

مرت الساعات... دون خبر...

لا جديد...

آثر الملوك أن يرسلوا عينا أخرى تأتيهم بالخبر... في الوقت الذي اختاروا فيه صاحب المهمة زاد سواد السماء وهبّت ريح عاصف... هكذا مرّة واحدة... بدأت الأرض بالتلوّن... باتت سوداء... امتلأت السماء وثقلت بغيوم

مزمجرة... برد الجوّ أكثر وتفرّقت الطيور في كلّ اتجاه... إنه هو...

يدرك الملوك أن جيش «رعد» خسر المعركة...

يتأسف الكلّ لما حصل... يواسي الملوك الثلاثة «خيموناس»... فقد فقد ابنه وهوبعيد عنه... دون أن يدري ما إن مات وحيده بالسيف أوغدرا... كيف استُشهد؟ ماذا قال؟ ماذا فعل؟ بماذا أحس؟... لن يعرف ذلك أبدا...

«كان أملنا كبيرا في دحر جيوش الظلام... إلا أنّ «رعدا» لم يفلح... يوم لك ويوم عليك... هاته هي الحياة... مع ذلك حارب ومات شهيدا... يكفيه أن... أن...».

لم يستطع إكمال كلامه ... تدمع عينا الأب... ويسيطر الحزن سريعا على قلوب المقاتلين...

يتقدّم «أبروهوم» رافعا الهمّة ... مشجعا هؤلاء الرجال الذين باتوا على وشك دخول غمار الحرب وأنفسهم من الموت راهبة:

«اليوم يومنا... فمن خابت شجاعته صارت حياته وحياة إخوانه إلى هلاك... كالجسد الواحد نحن... من ولّى دبره فقد خان... ومن قام وقاتل في سبيل استرجاع خامس مملكة وكان النصر حليفه فالكرامة والعزة فاز... وبها امتاز... وكان له فخرا واعتزاز... أما صاحب الشهادة... فله في حياته الأخرى ما يُحسد

عليه... ما كان شرفا له ولأمته... ورفعا لراية مملكته... فالموت في سبيل الحرية والكرامة خير من العيش في ذلّ وهوان...».

يتقدّم شعاع بدوره ويضيف:

«إن فقدنا عزيزا فنحن أعزّة... وكلّ منا عزيز نفسه وغيره... كلنا سواسية... وكلنا للمراد مريدون... لا فضل لأحدنا على آخر... فالنستجمع قوانا ولنمض قدما إلى النصر بإذن الله...».

يختم صخر بكلمات رجّت الأنفس ونفضت عنها غبار الشك واليأس:

«الظلام قادم... فهل نأبى الخضوع لمن أراد لنا الغرق في غياهب ظلمات لا عودة منها؟ كيف لنا أن نستسلم؟ كيف لنا أن نركع لهؤلاء ونحن الأباة الكرام؟ كيف لنا أن نصدق كذبة ضعفنا لوهلة؟... من نكون إن لم نكن الأشراف الأعزّة؟... من نكون إن لم نكن عمالقة الأرض؟... لن نكون شيئا إن لم نكن كذلك.... ولن نكون إلا كما كُنا وسنكون... كنا ملوك الأرض وسنبقى... سنجعل مهلك من يريد هلاكنا قدرا مكتوبا بأيدينا... فهل نعود إلى الوراء والنصر يناديا؟».

تتعالى الصيحات ويهتف الجيش الموحّد هتافا واحدا:

«النّصر... النّصر... النّصر...».

«نعم النصر... ولا شيء سوى النصر...».

تشتعل نيران الحماس في كلّ مقاتل... فصار كلّ واحد منهم ألفا وللموت هم أحبّ... يقود الملوك الأربعة الجيش إلى ساحة الحرب... تتحرك معهم السفن والآلات الحربية... ومعهم الحوريات المقاتلة... ملؤوا الأرض والسماء... فسمع القاصي والداني وقع أقدامهم وجرّ آلاتهم... وبلغ كلّ حيّ حرارة أنفاسهم... يدخلون سواد العاصفة الهوجاء... يريدون أعداءهم وقلوبهم تدق معلنة ساعة الحقيقة...

بعد ساعات من التحضير تنطلق السفن من القمر متجهة إلى الأرض... محمية بالحوريات القمرية... من المساجين من كان عالما بالإلكترونيات والفضاء... فكانوا خير العون لإرجاع هذه الآلات إلى الحياة...

العودة إلى الأم... الحلم الذي أوشك أن يكون واقعا وحقيقة...

أسطول السفن يقترب من الأرض... المئات منها... تسبح ببطء في كون هادئ... تنادي الأرض أنّا قادمون... نحن عائدون...

في إحدى الحوريات يرافق «آدم» أخته «مريم»... وهما يقتربان يريان الأرض وكأنها تفتح لهما ذراعيها مرحبة بولديْها...

«ها قد عدنا يا مريم...». قالها آدم والفرحة تغمره...

«نعم... عدنا...».

«أتعلمين... لقد اشتقت لأخي...».

«وأنـا أيضـا... بعـد إدراكـي الحقيقـة... أشـعر بالخجـل مـن ملاقاته...».

«لم نكن نعلم...».

«كان علينا أن نبحث ونتحقق أولا...».

«لا بـأس يـا أختـي فنحـن عائـدون... لا تفسـدي علينـا هاتـه الفرحة...». قالها وهويبتسم...

«معـك حـقّ...». بابتسـامة مفتعلـة تحـاول جاهـدة إخفـاء حـزن ظاهر...

«كيف حـدّد «صـراع» موقـع الهبـوط؟... فـي أي مكان ننـزل؟». أردف آدم في محاولة لقلب الصفحة... فتجيبه:

«فـي أرض بيـن الممالـك الخمسـة... الأرض التـي ستشـهد الحرب ضد «مورتيس»... تلك معلومة أتانا بها ظلام...».

«"مورتيس"... إذن هوأب ظلام...».

«الابـن ضـدّ أبيـه... جمعتهمـا الحـرب وفرقتهمـا العـداوة... عجيبة هي الحياة... أليس كذلك؟».

«بلـى... حـقٌّ مـا قلـتِ... فـي نفـس السّـياق يـا مريـم وددت أن أسـألك... «مشـروع يـد العمـلاق»... هـذا المشـروع الـذي يجمـع الممالـك الخمسـة... مشـروع السـلام والأمـن... لمـاذا لـم يكـن فـي عهد خلافـة أبـي؟... ألـم يكـن هناك خـلاف بيـن ملـك الظلال

الثلاثة وباقي الممالك من قبل؟ أم أنّ الخلاف اشتدّ وخرج من نطاق التهديد إلى الفعل في عهد خلافة أخي «صخر»؟...».

تتوتّر مريم قليلا... ويظهر ذلك عليها جليًّا...

«ماذا بكِ يا مريم؟».

«لا شيء...».

«بل هناك ما يقلقك... تكلمت عن «مشروع يد العملاق»... أكان أبي مشاركا فيه ولم نعلم؟...».

«الحقيقة...».

امتنعت عن الردّ لولا أنّه أصرّ:

«لم يوافق أبي على هذا المشروع وفضّل الحياد... سمعته يتحدّث خفية وحاملي السرّ المكنون...».

لم يصدق آدم ما سمعه... كيف لأبيه أن لا يساهم في أمن واستقرار الأرض؟ لماذا التزم الحياد؟...

«لم يرد أن يدخل في حرب حينها... الظروف لم تكن مواتية... فتعطّل المشروع ولم ير النور لاستحالة تكوين تحالف ملكيّ... هذا الذي كان...».

يلزم آدم الصمت... يدرك أن للحكم أسرارا... طرقا... وظروفا تتحكم فيه وفي الرعية... فليس من الحكمة أن تراعي

ظرفا دون آخر أوتلتزم طريقة دون أخرى... فلكل زمن مشاكله... وحلول مشاكله بحسب الطريقة الأمثل التي تراعي تلك الظروف في وقتها ...

في لحظة انغماسه يصدر صوت من قمرة القيادة... اتصال مستعجل... لم يعرف كيف يردّ... صار التحكّم يدويا إلا آلية الهبوط...

«لوتركوا التحكّم الآلي في الحوريات لكان أفضل...».

«هذا لأنك لا تعرف كيف تردّ على اتّصال بسيط... انتظر...».

تضغط مريم على زرّ وإذا به القائد «صراع»:

«اقتربنا من الأرض... نرجوربط الأحزمة والاستعداد للدخول في الغلاف الجويّ... أرسلت لتوّي إحداثيات الهبوط لكلّ سفينة وكلّ حورية... نرجوالالتزام بالهدوء والصّبر...».

حانت اللّحظة التي انتظرها الجميع... تدقّ القلوب دقّ المشتاق لرؤية الأهل والأحباب... الفرحة تغمر المنفيين العائدين إلى الأرض...

يربط آدم حزامه... ويستعد... وهم يقتربون وإذا بهم يلمحون شيئا غريبا على السطح... غمامة سوداء عملاقة في المكان المفترض أن ينزلوا فيها... يمكن رؤية ذلك بوضوح...

«أترين هذا؟...».

«نعم أرى...».

«ما هو برأيك؟».

«لا أدري... لكن...».

«لكن ماذا؟...». سألها وقد انتابه القلق...

ترى فيه مطوّلا... ثمّ تقول:

«الحرب... لقد قامت...».

ينتفض آدم... يلصق يديه في الشاشة المقابلة له... يتأكّد مما رآه مرّة أخرى...

«لربما يكون شيئا آخر... عاصفة أو...».

«ليس في منطقة كهذه يا آدم... هاته الحرب اندلعت بين ممالك الأرض...».

يسود صمت رهيب... صمت الكون وصمت العائدين... عليهم الآن أن يكافحوا ويناضلوا مرّة ثانية في سبيل البقاء...

الكل يدرك معنى أن تواجه «مورتيس» ملك الظلام...

لكنهم على علم... وأرادوا العودة مهما كلّف الأمر... لذا فهم مقتنعون بما يجب أن يقوموا به... لا مجال للخوف... لا مجال للتردّد...

الأرض... أيتها الأم... نحن عائدون...

الفصل الخامس والأخير

الملحمـــــة

لحظة الملاقاة...

تسودّ الأرض والسماء...

يعمّ الضباب المكان...

جيـوش التحالـف الملكـي هنـا... علـى اسـتعداد تـام لمواجهـة العدو...

الملـوك الأربعـة فـي المقدمـة... يقلّبـون أبصارهـم لعلّهـم يلمحونه...

أين هو؟...

أين جيوشه؟...

بعد لحظات صمت وتردّد... يخترق ظلٌّ جدار السواد...

من ذاك؟... أهوملك الظلام؟...

نعم هو...

يخرج «مورتيس» من الضباب ويقف غير بعيد عن مقدّمة جيوش التّحالف...

قبالة الملوك الأربعة...

يرونه فيُدهشون... يُصدمون لما رأوا...

«أصرت أعمى؟ «يسأل شعاع...

«كما ترى يا «ملك الأنوار»... علّمت ابني السّحر فانقلب عليّ وأعماني...».

يتبع اعترافه ضحكات خفيفة ...يستغرب منه السامعون...

«أتعلمون... لم يوافقني «ظلام» الرأي... أردت كنوز الممالك الأربعة التي بقيت سرّا لأجيال... أردت المجد والخلود لمملكة الظلال «الثلاثة»... لكنه رفض... توعّدته بالموت وهممت بذلك لولا أنّه فرّ وأخذ معه أسرار مملكتي... لم يكن ليستطيع لولا السّحر الذي رماني به فأعماني...».

يضحك... يضحك ضحك المجانين.... ولم يتوقّف...

يغضب الملوك لضحكه غير المبرّر...

يرى شعاع حواليه... ثم يسأل «مورتيس»:

«أين جيشك؟».

«أنا الجيش... لا أحد سواي...».

«أتنتظر منا تصديق خرافاتك؟ أنّك قضيت على جيش من خمسة آلاف مقاتل وحدك؟».

«التصديق أوالتكذيب يعنيكم وحدكم... ما يهمني الآن هوكنوزكم...».

يصمت الملوك...

«فرصتكم الأخيرة... استسلموا لملك الأرض الأوحد... سلّموا لي كنوز الممالك المكنونة وفي المقابل أترككم على قيد الحياة...».

يقاطعه «صخر»:

«وإلا ماذا؟».

«تجهلون مقدار قوّتي ... يبدوذلك».

يُخرج الملك «خيموناس» رأسه وهوعلى مركبته... وبصوت قويّ عال:

«لن تستطيع استعمال سحرك كلّ مرّة... طاقتك محدودة... نحن جيوش متحالفة وأنت وحدك... وهناك دافع آخر يجعلني أطلب موتك مهما كان ... موت ابني... الأمير «رعد»...».

يخالط الحزن الغضب فيتحدان في تلك اللّحظة...

يقاطعه ساخرا:

«آه... ذاك المتعجرف... كان ضعيفا... لا تخف لقي حتفه سريعا... ربما لم يحسّ بشيء حتّى...».

لم يتمالك الملك «خيموناس» نفسه... بلغ الغضب مبلغا لا يُحتمل... فصرخ صرخة انطلاق الهجوم:

«هياااااااااااااا اقضوا عليه... هياااااااااااااااااااااا...».

يتبعه الملوك فيأمرون قادتهم ببدء الهجوم... لتتبعهم أمواج هائلة من المقاتلين كلّهم يريدون «مورتيس»...

يرفع «ملك الظلام» يديه إلى السّماء ثم ينزلهما... وإذا بأحجار تتشكل... حجرا على حجر... صارت عمالقة... العديد منها... العشرات... عمالقة يزمجرون غضبا وغيظا...

لم تصدّق عين ما رأت... سحره... ذاك هوسلاحه...

ترتطم الجيوش بالعمالقة ويبدأ الصراع... في دين الحرب لا رحمة... صراخ وعويل... قوة العمالقة كبيرة... فرغم اجتماع حوريات الأرض عليها والكثير من المقاتلين إلاّ أن قوتهم كانت أكبر وأفتك... ضرباتهم كانت تقلّب الأرض وتدكها دكّا... تتطاير الأجساد كالدّمى على وقعها... دماء المقاتلين تتطاير مع تطاير قطع المعدن الباقية من كلّ حورية... لتسقي الأرض حتى الشّبع... مالت الكفّة سريعا لصالح «مورتيس» أمام الأعين الشاخصة للملوك...

يدفع الملوك بالمزيد من المقاتلين... أفواجا يدخلون غمار الموت فيعانقوه يقينا... تتساقط الأيادي والأرجل من الأجساد المُذابة بحرّ النّار... ترتطم الرؤوس المتدحرجة ببعضها سابحةً في بحر دم واسع...

في غمار ذلك يجتاز «مورتيس» الجثث ويتجنّب السيوف والرصاص متقدّما نحوالملوك الأربعة هناك... ينزلون من مركباتهم ويأخذ كل واحد فيهم سيفه مستعدًّا للمواجهة...

شعور غريب... يدقّ القلب بقوّة... بشدّة... يغتنم الفرصة كأنه لن يدقّ بعدها مرّة... يرتعش البدن خوفا... يُسمع تدفق الدم في الشرايين كسواقٍ صغيرة من فرط الخوف والترقّب... تُسمع الأنفاس المتصاعدة من خرم إبرة... همسات لا تدري مصدرها... أصوات كثيرة... لا تميّزها... ترى الأعيُن ألوانا تتداخل... لتفتح باب عالم آخر... تلك اللّحظات تسبق الحقيقة...

بين قطع اللّحم المترامية... وبرك الدم الدّبقة ... صراخ الألم والعذاب... صيحات اليأس... سيمفونية الموت... تأبى أن تنتهي... تزيدك عذابا على عذاب...

يقف «مورتيس» بقطعته الموسيقية المميتة... يضيفها لتلك السيمفونية... قبالته الملوك الأربعة... كلّهم عزم وثقة... ضربة سيف واحدة تكفي...

«أتعلمون لماذا تسمّى مملكتي بـ: الظلال الثلاثة؟».

يستغرب الملوك سؤالا كهذا في ظرف مماثل...».

«ليس وقتها أيها اللّعين...». يجيبه «خيموناس».

«ألم تسأل نفسك يوما لماذا يا «ملك الأنوار»؟... وأنت يا «ملك بابل الجديدة»؟... ألا تعلمون السرّ وراء ذلك؟ يا ملك «شامبالا»؟ وأنت يا «ملك مملكة السماء»؟...».

يسود الصمت بينهم...

«سأقول لكم... لأننا في الأصل ثلاثة ملوك... أنا... وابني «ظلام» الذي خانني... وساعدي الأيمن «جحيم»... نحن الثلاثة نملك سر السّحر الأبديّ... نحن «ملوك الظلال»...».

مستحيل... ماذا يقول؟...

«ثلاثة ملوك لمملكة واحدة؟ أيعقل هذا؟». يستغرب «شعاع».

«ما الذي يدفعك للتصريح بشيء كهذا الآن؟...». يسأله «صخر».

«هكذا فقط... أردت إعلامكم قبل أن تفارقوا الحياة...».

يرى بعضهم في بعض... لم يدركوا ما المقصود...

يسأله «خيموناس» ساخرا:

«حقًّا؟...».

وإذا بسيف أسود يخترق ظهره ويخرج من صدره... تتفجّر الدّماء وقلبه معلّق بطرف السّيف...

يُصدم «شعاع»، «أبروهوم» وكذلك «صخر» لما رأوا وإذا بثلاثتهم يتفرّقون... ينظرون ولا يصدّقون... يخرج المجهول سيفه من «خيموناس» فيسقط جثّة هامدة وبجانبه قلبه الذي تدحرج أمامه...

يفتح «صخر» عينيه...

لا يُصدّق...

مستحيل أن تكون أنت...

مستحيل أن تكون «جحيم»... ساعد «مورتيس» الأيمن...

يردّ عليه مؤكّدا:

«نعم أنا «جحيم»... قائد الحرس الملكيّ في «شامبالا»... أنا أحد ملوك «الظلام الثلاثة»...».

ذاك هوقائد الحرس الذي سهر على أمن وأمان المملكة في عهد الأب... والذي خدم «صخرا» بصدق... هوملك... بل أحد ملوك الظلام ...

يجمد «صخر» في مكانه... تخور قواه... لم يجد ما يقوله...

يلـفّ جسـد «جحيـم» دخـان أسـود كثيـف ليصيـر مثـل «مورتيـس»... بعينيـه الحمـراوان وفـي يـده سـيف يطلـق دخانـا أسود...

له قدرة إخفاء الهويّه بالرغم من تمكن السّحر منه...

لا خيار أمامهم سوى المواجهة...

يرتمـي «شـعاع» علـى «جحيـم» ويضربـه بالسـيف الوهّـاج بقوّة النـور السّـاطع... يتفـادى «جحيـم» كلّ الضربـات... وفـي مـرّات يردّهـا عـن نفسـه بسـيفه الأسـود... لـم يفلـح فـي إصابتـه... فيعينه «أبروهـوم»... سـيفان ضـد واحـد... خفـة، سـرعة ومهـارة... يتفاداهـا جميعـا ويضحـك... لـم يسـتطيعا إصابتـه... إنـه سـريع... كالخيـال ينتقـل مـن مـكان لآخـر... فيما يبقـى «صخـر» يشـاهد... فـي شـبه غيبوبـة... لـم يسـتوعب بعـد أنّـه خُـدع... بـل خُدعـا هووأبوه طيلة تلك المدة... لم يصدّق... لم يرد أن يُصدّق...

بحركـة خاطفـة يغـرس جحيـم سـيفه فـي رأس «أبروهـوم»... يسـقط بـدوره ميتـا... يحـاول شـعاع أن يغتنم تلـك الفرصـة للقضاء عليه... إلاّ أنه اختفى من أمامه فجأة كالشبح...

«أين هو؟... اللّعنة... أين اختفى؟».

وإذا بـه مـن خلـف يشـقه بسـيفه نصفيـن... فـي لحظـة أنهـى حياة ثلاثة ملوك...

يصفّق «مورتيس» لهذا العرض بحرارة ويضحك...

يلتفت «جحيم» نحو صخر... بازدراء يقول:

«جاء دورك... يا مولاي...».

يستيقظ «صخر» من سباته... من غفلته... ينظر في «جحيم» ويقول:

«لماذا؟... لماذا كلّ هذا؟».

«لأنني من «مملكة الظلال»... نحن على علم بأسرار مملكتكم وأسرار كلّ الممالك الأخرى... لن يصعب علينا ضمّ ممالككم وأراضيكم... بقي فقط سرّ كنوزكم المكنونة... لن يطول الأمر وترضخون للأمر الواقع...».

يغضب «صخر» غضبا لم يبلغه من قبل... يصرخ صرخة طغت على صراخ المقاتلين وزمجرة العمالقة... الكلّ يتوقف... الأنظار كلّها نحو «صخر»... صمت مهول...

يدرك «مورتيس» أن لصخر قوّةً كبيرة كامنة... ينتابه القلق الآن... يحسّ بطاقة غريبة منبعثة من جسده...

«اقض عليه الآن يا «جحيم»... أسرع...».

يستخفّ جحيم بـ «صخر»:

«ما الذي تخشاه يا «مورتيس»؟ أتظن أنّ هذا الضعيف قادر على...».

لـم يكمـل كلامـه حتـى وجـد صخـرا عنـده... ملوّحـا بالسّـيف مريـدا إيّـاه... بلغـت سـرعته سـرعة «جحيـم» أوأكثـر... ينتفـض «جحيـم»... وبـردّة فعـل سـريعة يتفـادى الضّربة فـي آخـر لحظة... ومعهـا وجّـه ضربـة معاكسـة قطـع بهـا اليـد اليسـرى لـ«صخـر» فتسـقط علـى الأرض والدمـاء تتدفـق ممـا تبقـى مـن ذراعـه... ظنّ «جحيـم» أن الأمـر مَقضـيّ وإذا بصخـر يلتـفّ عليـه ويقلـب سـيفه وبسـرعة غرسـه حتـى المقبـض فـي صـدر «جحيـم»... يصـرخ هذا الأخيـر صرخـةً سـمعها كلّ الخلـق... تتفجّـر الدمـاء ينابيـع سـوداء علـى «صخـر» وعلـى جسـد «جحيـم» الـذي فارقتـه الـروح... يخرج سيفه ويسقط الجسد دون حراك...

هـدوء تـام... الـكل ينظـر ويتمعّـن فـي «صخـر» الـذي فقـد يده... أعياه القتال... لكنه لا زال واقفا:

«أنت الموالي يا «مورتيس»... تعال... واجهني...».

ينظـر «مورتيـس» فـي «صخـر» ويُعجـب بشـجاعته وإقدامـه... يتقدّم خطوة ويتوقف...

«ماذا؟ أخشيت أن تلقى ما لقيه «جحيم»؟».

يرفع «ملك الظلال» رأسه إلى السماء ويصغي...

لكن...

ما هذا؟...

صوت غريب...

فجـأةً يختـرق سـرب مـن آلاف السـفن والحوريـات القمريـة الغمـام الأسـود سـاقطة سـقوط نيـازك راجمـة... تاركـة وراءهـا أعمـدة سـوداء مائلـة... المئـات منهـا... المئـات... هـم العائدون... إنهم المنفيون...

«مـاذا؟ أهـذا معقـول؟» يقولهـا «صخـر» وعينـاه لا تفـارق السّماء...

انقلبت الأمور على «مورتيس»... يحسّ بالخطر الآن...

«هيـاااااا اقضـوا عليهـم... لا تتركـوا أحـدا علـى قيـد الحيـاة... اقضوا عليهم جميعا...».

يأمـر «مورتيـس» عمالقتـه... لكنـه يُفاجـأ بوابـل مـن الصواريـخ أطلقتهـا سـفن العائديـن والتـي هطلـت عليهـم هطـول المطـر وحطّمتهـم الواحـد تلوالآخـر... اهتـزّت الأرض وانشـقّت... صُمّـت الآذان مـن وقـع الإنفجـارات... ومـلأ الغبـار المـكان... باتت الرؤية مستحيلة...

ينسـحب «مورتيس» سـريعا... ويتـرك «صخـرا» يصـارع الموت وحوله جثث الملوك الثلاثة...

معظـم السـفن والمركبـات القادمـة تحـطّ علـى الأرض... تطلق نيرانها على العمالقة دون توقّف...

تنقـضّ الحوريـات علـى العمالقـة فتمنعهـم عـن الحـراك... نيران وقذائف في كلّ مكان...

فجأة...

تظهر من العدم ظلال...

خمسة ظلال...

تقترب من «صخر»... هذا الأخير مُلقى على الأرض عاجز عن الحركة من شدّة النزيف الذي لم يتوقف... وإذا بهم...

الأمراء الخمسة...

يهرول كلّ أمير إلى ملكه...

تحتضن «سحاب» أباها «شعاعا» وتبكي...

يجثو«صراع» على ركبتيه ويرى في أبيه «أبروهوم»... دون النطق بكلمة... يبكي...

ينطلق كلا من آدم و«مريم» نحو«صخر».. فيجدانه متمسكا بحبل الحياة... يضمّانه ويقبّلانه... يبكيان بحرقة...

«ماذا حصل يا أخي؟ ماذا بك؟...». يسأله «آدم»...

«ذاك... «مورتيس»... إنه هنا... انتبهوا... انتبهوا...». بصعوبة يرد على أخيه...

«لماذا يا «صخر»؟... لماذا أبعدتنا عن الأرض؟... عن مملكتنا؟... ألسنا إخوة؟... ألا تقع علينا جميعا مسؤولية حمايتها ورعايتها؟...». تسأله «مريم» باكية...

«إن فقدتكما... فماذا يبقى لي؟».

تجهش «مريم» بالبكاء... ذكّرتها تلك الكلمات بأبيها... تشعر بحضوره بينهم... أحسّت به من خلاله...

«نحن أميران أيضا... لنا ما لك وعلينا ما عليك... فلا تبعدنا بحجة حمايتنا... وإن كانت التّضحية لازمة فنحن لها يا «صخر»...».

يصمت «صخر» قليلا ويُظهر الإعجاب بما قاله «آدم»...

لقد كان مخطئا في تقديره...

لا يحتاجان إلى حماية... هما الآن أميران... أميرا مملكة «شامبالا»...

في تلك الأثناء يقترب «ظلام» من الجسد الهامد لـ «جحيم»... ينحني ويتفحّصه... يعتدل ثمّ يقول:

«قُضي عليك أيّها اللّعين...».

ثمّ ينظر في «صخر» من بعيد ويبتسم...

«أنت إذن...».

في اللّحظة ذاتها والصّراع من الجهة الأخرى قائم... كرة سوداء عملاقة تتشكّل...

تنمحي الابتسامة من وجه «ظلام»... يصرخ محذّرا:

«اهربوا... إنها قنبلة...».

بسرعة يتركون المكان و» صخر» برفقتهم... يجرون نحوأقرب حفرة... يدخلونها سريعا ... وبعد لحظات قليلة تنفجر وتأخذ معها عددا من البشر، السفن، المركبات، الحوريات وكذلك العمالقة... تمحي جلّ من كان في ساحة المعركة... تهزّ الأرض هزّا وكأنها زلزال...

ما الذي حدث؟...

ما الذي حصل؟...

ظلام: «إنه أبي... استعمل قوة سحره للقضاء على قوات التحالف والعائدين مرّة واحدة...».

اللّعنة... من أين له كلّ هاته القوّة؟...

«أين هي جيوش «مملكة الظلال»؟». يسأل صراع...

««مورتيس» هوالملك القائد... هوالجيش... وهوالمملكة الآن...». يجيبه ظلام.

يخرج ستتهم من الحفرة التي ملأها التراب وتكدّست فيها الأحجار... تلاحظ «مريم» أن النزيف في ذراع أخيها لم يتوقف بعد بالرغم من ربطها بقطعة قماش... فتمزق من ثوبها وتربطه ثانية وتضغط عليه وترى فيه مطمئنة إياه:

«لا تخف... سننجوبإذن الله...».

يبتسم «صخر»...

«تحاولين عبثا يا أختاه.. أدرك تماما أنّي لن أعيش طويلا... اتركوني واذهبوا... ابتعدوا قبل أن يحسّ «مورتيس» بوجودكم ف...».

«مستحيل... لن نتركك هنا ونرحل...» قالها «آدم» مصمّما...

أضاف «صراع» لما قاله:

«لا زلت حيّا وهذا هوالأهم... أما هو...فسيدفع الثمن غاليا...»

يذرف «صراع» دموع الحزن ممزوجة بغضب وغيظ كبيرين... كذلك سحاب... لم تتوقف عن البكاء منذ أن رأت أباها جسدا دون روح...

يرى فيهما «ظلام»...

يغلق عينيه...

ينهض...

ثم يقول:

«اِبقوْا هنا... سأتكفّل بالأمر...».

تسأله «سحاب»:

«ماذا ستفعل؟».

يبتسم ويردّ عليها:

«سأريح العالم من جنون أبي...».

ثمّ يختفي فجأة كالشّبح...

أين ذهب؟...

سيُواجهه؟... يواجه أباه؟...

دون كلمة ينهض «صراع» ويتجه نحوساحة المعركة الخالية من نبض الحياة... يتبعه آدم فتمنعه «مريم» قائلة:

«إلى أين؟...».

«لن أبقى هنا مختبئا وكلاهما يواجهان «مورتيس»... سأساعدهما...».

«وكيف؟... لست بقوتهما... ولا تملك سلاحا تدافع به عن نفسك...».

حينها يرفع «صخر» يده ويشير لآدم بالاقتراب... يفعل... وإذا بـ «صخر» يهمس في أذن أخيه... يُنهي كلامه... يعتدل آدم... ثمّ يبتسم...

يا ترى ما الذي قاله؟... بماذا أخبره؟...

يمشي «صراع» رفقة «ظلام»... يبحثان عن «مورتيس» وسط الغبار المتصاعد... بعد لحظة يظهر الملك واقفا... لم يبق في أرض المعركة الكثير من الأحياء... ومن كانوا أحياء فمصابين...

يحسّ «مورتيس» بوجود «ظلام»... يضحك ثمّ يقول:

«ها قد عاد الخائن... أنت معهم الآن؟...».

«لـم يتبـق لـك الكثيـر مـن «روح السـحر»... سـتكون نهايتـك على يدي يا أبي...».

«لـن تنجُـوَ بفعلتك... سـنقضي عليـك...» قالهـا «صـراع» وبيده سيف رفعه للتوّ من الأرض...

يردف «ظلام»:

«لما لا تعترف بالحقيقة أولا قبل أن نبدأ؟».

«عن أي حقيقة تتحدّث؟».

«عـن السـبب الحقيقـيّ الـذي دفعـك لإعـلان الحـرب علـى الممالك الأربعة؟».

يصمت «مورتيس»...

«ماذا تقصد؟» يسأله «صراع».

«هذا الـذي أمامـك ليـس أبـي... أوبالأحـرى لـم يعـد كذلك... كان ضحيّـة سـاحر هـدّده إن لـم يسـلّمه مفاتيـح أسـرار مملكتنـا... أبي لم يفعل... فألقى عليه سحرا لا يبرأ منه...».

«ماذا؟».

«كانـت لعنـة... كلّ مـن يـراه بعينيـه يمـوت... بـل وإن رأى أحد المسـحورين فـي الآخـر انتقـل إليـه السـحر وهذا مـا حصـل... عن غيـر قصـد كان ذلـك ... حتـى المقربـون منه لـم يسـلموا... فانتشـر

السحر بسرعة بين السكان... للأسف أدرك ذلك متأخّرا... أنا لم أكن في المملكة وقتها... حينما عدت برفقة « فضيْل»... ساعِد الملك... كانت الأجساد مرمية على طول طرقات ومسالك المملكة... صغيرا وكبيرا... ملأت عينيّ تلك المناظر وخنقتني رائحة الجثث المتعفّنة... بكيت حتى استفرغت... بقيت أنا وإياه وحيدين... منع أبي نفسه عن رؤيتي خوفا على حياتي وحياة «الفضيْل»... أمرني أن أفقأ عينيه... ففعلت...».

ينتفض «صراع» لما سمع...

«فقأت عينيه بأمر منه ... لم يكن سحرا ألقيته...».

يبقى «مورتيس» صامتا...

«لسوء الحظ تمكّنت اللّعنة منه وصار كما ترى... لا يُرجى الشفاء من مثل هذا السحر... يتمكّن من الروح والجسد في لمح البصر... انتقل إليّ لأنني لمسته حينها... كذلك حصل لـ «فضيْل»... لمسناه فانتقل إلينا بعض منه... صار ثلاثتنا ملاعين...».

«لكنّ السّحر لم يتمكّن كليًّا منك...».

«سيفعل... وحينما تسودّ الرّوح انتهى الأمر... كما فعلت بوالدي وحوّلته إلى ما ترى... هكذا قدرنا نحن الثلاثة... أبي « الفضل» أنا « الفاضل « ومستشار أبي وساعده «الفضيْل»...

فـي الحقيقـة كنـا ضحايـا الكـره والمقـت... ضحايـا مـن عـادى الشرّ وحاربه... حتى أسماؤنا نسيناها وعُرفنا بما ليس فينا...».

يضغط «صراع» على مقبض سيفه ثمّ يقول:

«والآن ماذا؟».

يجيبه «ظلام» في هدوء:

«تعرف ما يجب فعله الآن... لا مجال للتّراجع».

يرخـي «ظـلام» يـده... ويحوّلهـا إلـى سـيف أسـود... يتحضّران للهجـوم... فيمـا يبقـى «مورتيـس» واقفـا ينتظـر... فجـأة يلـوّح بيده... وإذا بها تتحوّل هي كذلك إلى سيف...

بكـره وغضـب يوجّـه «مورتيـس» آخـر كلماتـه قبـل بـدء المواجهة:

« لن تنجُوَا مني...».

«استعدّ يا «صراع»... حانت اللّحظة...».

«اعتمد عليّ...».

فـي لحظـة كتـم النّفـس... ينطلـق «صـراع» و«ظـلام» نحو«مورتيـس» ويضربانـه بسـيفهما... يتفـادى الضربـة... لكنّهمـا يتبعـان الضربـة ضربـة أخـرى... وثالثـة ورابعـة... و«مورتيـس» يتفادى الضربات وكأنّه يقرأ حركاتهما مسبقا...

يـردّ «ملـك الظّـلال» عليهمـا بضربـات سـريعة قويّـة... يحمـي كلّ منهمـا الآخـر... وحيـن الهجـوم يفتـح كلّ منهمـا فرجـة فـي دفـاع «مورتيـس» ليسـتغلّها الثانـي... لا تسـمع سـوى صليـل السـيوف وصـراخ الحديـد... قتـال حـامٍ... كلّ زلّـة لهـا ثمـن... لا مجال للتسامح...

أخيـرا يتمكّنـان مـن إصابـة «مورتيـس» وعلـى مرتيـن... فيترنّح حتـى يـكاد يسـقط... مـن الواضـح أنّ قـواه قـد خـارت... يسـتغلّ «ظـلام» الفرصـة ويقفـز علـى أبيـه ويشـدّه بقـوّة فـلا يتركـه يتحرّك... تلفّه ذراعاه وكأنها قفص تمنع الملك من الفرار...

«اللّعنة... ماذا تفعل؟».

«الحلّ الوحيد... أن نذهب مع بعض...».

«ماذا؟».

يحـاول «مورتيـس» أن يفـكّ الوثـاق دون جـدوى... قبضـة «ظـلام» كانـت محكمـة... يصـرخ حتّـى يـردّ الأفـق عليه بصـداه... حينها يرفع «ظلام» صوته قائلا:

«هيا ماذا تنتظر؟...».

«ماذا؟ أتريد أن؟...».

«أسرع...».

لا حلّ آخر الآن...

إما القضاء عليهما مع بعض... وإلا هدر هاته الفرصة...

يجري «صراع» نحو«ظلام» و«موريس»... يتجهّز لغرس السيف في جوفهما مرّة واحدة... يرفع سيفه... يعيّن... يهمّ بإدخاله... وإذا بسيف «مورتيس» يخترق جوف «ظلام» و«صراع» مع بعض في هجمة خاطفة سريعة غير متوقّعة...

يصرخ «صراع»... يسقط السيف من يده...

«تبا... لم أستطع... لم.... لم...».

تفارق الروح «صراعا»... وهوواقف لم يسقط...

يموت موت الأبطال... يأبى أن يرضخ حيًّا وميّتا...

يضحك «مورتيس»...

يمسك «ظلام» سيف أبيه بيديه الاثنتين وبقوة رغم اختراقه له... فيزيد تأثير السحر عليه...

يستغرب «مورتيس» ذلك من «ظلام»...

«ما الذي تحاول فعله؟ أتريد أن تخرجه من بطنك؟ «

«كلاّ بل أريده أن... يبقى».

يبتسم «ظلام» ابتسامة غريبة...

ما الذي قصده؟...

لـم تمـرّ لحظـة حتّـى اختـرق سـيف صخـرٍ «مورتيـس» ومعـه «ظلام» أيضا ...

تجحـظ عينـا «مورتيـس» مـن الألـم... ألـم لـم يشـعر بـه مـن قبل... يقطّع لحمه ويفصل أوصاله...

«لكن... ماذا... ماذا حدث؟».

تسـيل الدماء السـوداء غزيـرة علـى جسـديهما المنهكيـن... يدير «مورتيس» رأسه بصعوبة إلى الخلف... وإذا به «آدم»...

«هذا أنت... أيّها... أيها...».

يـردّ «آدم» عليـه والدمـوع فـي عينيه مـن فـراق صديقيـه «صراع» و«ظلام»:

«هذا أنا... وأنتَ أنت... أنا هنا... وأنت لست...».

يضيف:

«هذه من أجل كلّ من أزهقت أرواحهم...».

يخـرج السـيف منهمـا فيسـقطان علـى الأرض... الأب علـى ابنـه... يفـارق «مورتيس» الحيـاة في تلـك اللّحظـة... يـرى «ظلام» في وجـه أبيـه وتغلبـه الدّمـوع... يبكـي بحـرارة ويشـهق... بصعوبة يقبّل جبينه ويضمّه إليه:

«لم تكن غلطتك يا أبي... ليس خطأك... لكن... لا بدّ من ذلك...».

ثمّ يهمس بآخر الكلمات لـ «آدم» قبل إغماض العين:

«مملكتنا أمانة في أعناقكم... اعمروها واجعلوها تحيا من جديد...».

ورحل...

نعم كغيره رحل...

وفي نفسه شوق لأبيه... بالرغم من تحوّله... تغيّره... كان الأب الذي أراد حمايته بكلّ ما استطاع...

دفع ثمن حبيبتيه من أجله... وكان سيدفع حياته إن لم يكف ذلك...

الأب والابن رحلا...

مع بعض... رحلا...

يتقدّم «آدم» نحو «صراع» الذي لا يزال واقفا... يجعل الأرض له فراشا ويقول:

«آن أن ترتاح يا صاحبي... آن أن ترتاح...»

يرفع «آدم» رأسه إلى السماء ويبكي... وإذا بـ«سحاب» و«مريم» تحملان صخرا وتمشيان به نحو «آدم» بصعوبة...

ينهض ويسرع الخطى نحوهم... ويعانق أخاه وأخته...

«ها قد حقّقت أمنيتك يا صخر... بسيفك أنهيتُه... لكن... لكن...».

بالكاد يبتسم صخر... يدرك الكلّ أنها حتمية... إما السلام وإما «مورتيس»...

يردف «آدم» باكيا:

«لن أترككما أبدا... لن أتركك يا أخي... ستعيش... سنبني مستقبلا آخر... مستقبلا نعيش فيه كلّنا مع بعض...».

يردّ عليه أخوه:

«من عاد من القمر إلى الأرض من أجل مملكته... أحرى به أن يقود شعب «شامبالا» إلى هذا المستقبل الذي نريده كلّنا...أنتما الاثنان تستحقّان أن تكونا كذلك...».

يندهش «آدم» من قوله... تبتسم «مريم» ابتسامة رقيقة رغم الحزن والألم...

أما «سحاب» فتمسح دموعها وتقول:

«أحسنت عملا يا «آدم»...».

يقترب منها آدم ثمّ يقول:

«ليست النهاية... بل البداية يا «سحاب»...».

تنظر فيه... تتمعّن...

«سنعيد مجد الممالك الخمسة... مع بعض هاته المرة... سنتعاون ونتكاتف... سنصنع مجدنا سويّا...فماذا قلتِ يا «سحاب»؟».

«تبتسم «سحاب» ثمّ ترد:

«سنقف معا... ونحيا معا... نحتاج ذلك... من أجل رعايانا... من أجل أوطاننا...».

يزول السّواد ليترك لوحة رائعة لغروب شمس يوم شهد نهاية وبداية...

يقوم الجرحى وهم العائدون من الموت...

يلملمون جروحهم... يغسلون بدموعهم دماءهم المتيبّسة على أجسادهم...

كانت نهاية معاناة...

نهاية حقبة وبداية أخرى...

زوال ألم وبداية أمل...

ها قد عادوا...

باختلاف مشاربهم ومنابعهم... حاملين أخطائهم... عبثهم... ندمهم... راجين من أهاليهم فرصة ثانية... فرصة أخرى لتوبة نصوح...

فرصة إثبات الذات...

المنفيون يعودون...

فهل من عقول راجحة تنصفهم؟

تغفر طيش لحظة وضعف وهلة؟

وهل من أيادٍ مسامحة تصافحهم؟... تحتضنهم؟

أيكون ذلك حقّا ؟

نعم ذاك إن شئنا...

ختـــــــام

مـن ألغـاز الحيـاة أن تجـد نفسـك مظلومـا دون ارتكابـك جريمة...

أن تُقهر وأنت العزيز...

وأنت البريء من كلّ اتّهام...

يُبعدونك عمّا تريد وتحبّ عنوة... شئت أم أبيت...

لتكتشف أنّ ذلك امتحان آخر...

كان لحمايتك أنت... وليس لتُذلّ وتُقهر...

الفهـــــرس

إهداء 3

إفتتاحيّة 5

الفصل الأول: المكيدة؟ 7

الفصل الثاني: السجن الأبيض 33

الفصل الثالث: يد العملاق 53

الفصل الرابع: العودة 67

الفصل الخامس والأخير: الملحمة 77

ختام 103